الباب الثاني

النصرانية

الفصل الأول : التعريف بالنصرانيَّة

الفصل الثاني : مصادر النَّصرانيَّة

الفصل الثالث : عقيدة النَّصارى

الفصل الرابع : بعض العبادات والشَّعائر عند النَّصارى

الفصل الخامس : العوامل التي أدت إلى تحريف رسالة المسيح عليه السلام .

الفصل السادس : أهم الفرق النَّصرانيَّة المعاصرة

الفصل السابع : التَّنصير

الفصل الثامن : البشارة بالنَّبِيِّ محمَّد ﷺ في الكتاب المقدَّس

النصرانية : هي دين من ينتمون في الأصل إلى عيسى عليه السلام وكانت سالته من ضمن الرسالات السماوية الخاصة ببني إسرائيل إلا أن النصارى غيَّروا ديانته وبدلوها حتى صار من العسير جدًا إمكانية عزو شيء منها إلى المسيح عليه السلام بل إنها تحولت من ديانة توحيدية إلى ديانة شركية تدعى التوحيد وتتستر به .

وسنبين في الفصول القادمة ما يتعلق بهذه الديانة من ناحية مصادرها وعقائدها وشعائرها . . . إلخ .

الفصل الأول

التعريف بالنصرانيَّة

المبحث الأول : تعريف كلمة النصرانية

المبحث الثاني : التعريف بالمسيح عليه السلام

المبحث الثالث : تاريخ النصرانية إجمالًا

المبحث الأول

تعريف كلمة النصرانيَّة

النَّصرانية لغة :

قيل : نسبة إلى نصرانة ، وهي قرية المسيح عليه السَّلام ، من أرض الجليل وتُسَمَّى هذه القرية ناصرة ونصورية ، والنسبة إلى الديانة نصراني ، وجمعه نصارى[١] .

النَّصرانية اصطلاحًا :

هي دين النَّصارى ، الَّذين يزعُمُون أنَّهم يتَّبعون المسيح عليه السَّلام وكتابهم الإنجيل .

وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى[٢] ، وأهل الكتاب[٣]، وأهل الإنجيل[٤]، وهم يُسمُّون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السَّلام ، ويُسمُّون ديانتهم « المسيحية » .

وأوَّل ما دُعي النَّصارى « بالمسيحيين » في أنطاكية حوالي سنة ٤٢ م ، ويرى البعض أنَّ ذلك أوَّل الأَمر كان من باب الشَّتم[٥] .

ولم ترد التَّسمية بالمسيحية في القرآن الكريم ولا في السُّنَّة ، كما أن المسيح

(١) انظر : المفردات للراغب الأصفهاني ص٤٩٥ ، القاموس المحيط ص٦٢٢ .
(٢) انظر مثلًا البقرة آية (٦٢ ، ١١١ ، ١١٣) .
(٣) انظر آل عمران (٦٤) ، النساء (١٧١) .
(٤) المائدة آية (٤٧) .
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص٨٨٩ .

حسب الإنجيل لم يسم أصحابه وأتباعه بالمسيحيين وهي تسمية لا توافق واقع النصارى لتحريفهم دين المسيح عليه السَّلام[١] .

فالحق والصواب أن يطلق عليهم نصارى ، أو أهل الكتاب ، لأن في نسبتهم للمسيح عليه السلام خطأ فاحش ، إذ يلزم من ذلك عزو ذلك الكفر والانحراف إلى المسيح عليه السلام ، وهو منه بريء .

(١) سيتبين هذا عند الحديث عن العقيده النصرانية .

المبحث الثاني

التعريف بالمسيح عليه السلام إجمالًا من خلال القرآن الكريم وما يتفق معه مما ورد في أناجيل النصارى

المسيحُ عليه السلام[١] نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل ، دعا إلى اللَّه عزَّ وجَلَّ وبلَّغ رسالة ربِّه عزَّ وجَلَّ .

وقد ذكر اللَّه عزَّ وجَلَّ هذا النَّبيَّ الكريم في القرآن الكريم ، وذكر دعوته في مواضع عديدة ، من أشملها قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى

(١) قيل سمى مسيحًا لكثرة سياحته في الأرض وقيل لأنه كان مسيح القدمين لأخمص لهما ، وقيل لأنه كان إذا مسح أحدًا من ذوي العاهات برئ ، وقيل لأنه خرج من بطن أمه ممسوحًا بالدهن . انظر : المفردات للراغب الأصفهاني (ص٤٦٨) ، تفسير ابن كثير (٣٢٠/١) والنصارى يقولون سمي مسيحًا لأنه جاء للخدمة والفداء . قاموس الكتاب المقدس ص ٨٦٠ .

وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ * فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ * وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ * إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ * ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥ ـ ٦٠] .

هذا هو المسيح عليه السلام في كلام الله عز وجل بشر خلقه الله بكلمته كما خلق من قبله آدم عليه السلام بكلمته وهي قوله « كن » وجعله الله سبحانه آية حيث خلقه في بطن أمه مريم بدون أن يكون لها زوج أو يمسها بشر بل كانت رضوان الله عليها عبدة صالحة طاهرة مبرأة من الخبث والفساد .

وبين الله عز وجل لنا حقيقة دعوة المسيح عليه السلام وأنه رسول دعا إلى عبادة الله عز وجل وحده لاشريك له وقد وجه دعوته لبني جنسه وهم بنو إسرائيل الذين كانوا في ذلك الوقت قد انحرفوا كثيرًا عن دين موسى عليه السلام إلا أن قومه كذبوه وسعوا إلى قتله فانجاه الله منهم ورفعه إلى السماء .

وإذا نظرنا إلى الأناجيل الموجودة بين يدي النَّصارى نجد أنَّها صرَّحت بكثير مما ذكر في القرآن الكريم تصريحًا واضحًا لا لبس فيه . ومن ذلك :

١ـ بشرية المسيح

ذكر الله عز وجل بشرية المسيح في الآيات السابقة وقد قص لنا الرب جل وعلا خبره من لدن جدته امرأة عمران ثم أمه ثم خبر ولادته .

وقد ذكرت جميع الأناجيل أنَّه ولد من مريم وأنَّه طرأ عليه ما يطرأ على البشر من الوجود بعد العدم والأكل والشُّرب والتَّعب والنوم والموت[1] وسائر الخصال البشرية

٢ـ أنَّه رسول اللَّه

وذلك في قوله عز وجل ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [المائدة : ٧٥] وقد صرح النصارى أن المسيح عليه السلام قال لهم في مواطن كثيرة في الأناجيل بأنَّه رسول من عند اللَّه .

☚ فقد ورد في « إنجيل متَّى » (١٠ / ٤٠) : « **مَن يقبَلُكُم يقبَلُنِي ومن يقبَلُنِي يقبَلُ الَّذي أَرسلني** » .

☚ وفي « إنجيل لوقا » (٤ / ٤٣) : « **فقال لهم إنَّه ينبغي لي أن أبشِّر المدن الأخر أيضًا بملكوت اللَّه لأنِّي لهذا أُرسِلْتُ . فكان يكرز في مجامع الجليل** » .

☚ ويقول لتلاميذه الَّذين أرسلهم إلى المدن لدعوة النَّاس للإيمان به وبرسالته ، حسب قول « لوقا » (١٠ / ١٦) : « **الَّذي يسمع منكم يسمع مِنِّي والَّذي يرذلكم يرذلني . والذي يرذلني يرذل الَّذي أرسلني** » .

---

(١) هذا ما ذكرته الأناجيل ونحن المسلمين نعتقد بأنه عليه السَّلام لم يقتل ولم يمت كما ذكر اللَّه عزَّ وجلَّ ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ [النساء : ١٥٧ ـ ١٥٨] .
وسيأتي مزيد ايضاح في الكلام على الصلب

☚ وفي « إنجيل يوحنا » ذكر أنَّه رسولٌ من اللَّه في مواطن كثيرة منها (٤ / ٣٤) : « **قال لهم يسوع طعامي أن أعمل مشيئة الَّذي أرسلني . وأتمم عمله** » .

☚ وفي (١٧ / ٣) يذكر عن المسيح أنَّه قال : « **وهذه هي الحياة الأبديَّة أن يعرفوك أنت الإله الحقيقيّ وحدك ويسوع المسيح الَّذي أرسلته** »(١) .

٣ـ أنه رسول إلى بني إسرائيل خاصَّة

قال الله عز وجل في الآيات السابقة ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [آل عمران : ٤٩]

☚ وقد ورد في « إنجيل متّى » (١٥ / ٢٤) : أنَّ المسيح عليه السَّلام لحقته امرأة كنعانيَّةٌ تطلب منه شفاء ابنتها المجنونة ، فقال المسيح : « **لم أُرْسَل إلَّا إلى خراف بيت إسرائيل الضَّالة** » .

☚ وكذلك في « إنجيل متَّى » (١٠ / ٥) : أنَّ المسيح أرسل تلاميذه إلى القُرَى اليهودية ، وقال لهم : « **إلى طريق أُمَمٍ لا تمضوا وإلى مدينة للسَّامريِّين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضَّالَّة** » .

٤ـ أنه دعى إلى عبادة اللَّه وحده لا شريك له

قال جل وعلا عن المسيح أنه قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾ [آل عمران : ٥١] .

☚ وذكر « متَّى » في إنجيله (٤ / ١٠) عن المسيح أنَّه قال : « **للربِّ إلهك تسجد وإيَّاه وحده تعبد** » .

---

(١) نُص على الرِّسالة في إنجيل يوحنا في المواضع التَّالية أيضًا (٥ / ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٦) ، (٦ / ٢٩ ، ٤٤) ، (٧ / ١٦ ، ٢٩) ، (٨ / ١٨ ، ٤٢) ، (٩ / ٤) ، (١٠ / ٣٦) ، (١١ / ٤٢) ، (١٢ / ٤٤ ، ٤٩) ، (١٤ / ٢٤) ، (١٥ / ٢١) ، (١٦ / ٥) ، (١٧ / ١٨ ، ٢٥) ، (٢٠ / ٢١) .

☚ وفي « إنجيل مرقص » (١٢ / ٢٩) : أنَّ المسيح أجاب من سأله عن أوَّل الوصايا والواجبات بقوله : « **إنَّ أوَّل كُلِّ الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل . الرَّبُّ إلهنا ربٌّ واحدٌ . وتحب الرب إلهك من كُلِّ قلبك** » .

☚ وفي « إنجيل لوقا » (٤ / ٨) : **أنَّ المسيح قال للشَّيطان لما طلب منه أن يسجد له : « اذهب يا شيطان إنَّه مكتوب للرَّبِّ إلهك تسجد وإيَّاه وحده تعبد »** .

☚ وفي « إنجيل يوحنا » (١٧ / ٣) أنَّ المسيح قال : « **وهذه هي الحياة الأبديَّة أن يعرفوك أنت الإله الحقيقيّ وحدك ويسوع المسيح الَّذي أرسلته** » .

☚ وكذلك قال للمرأة الَّتي رأته بعد قيامه من الموت في كلامهم في « إنجيل يوحنا » (٢٠ / ١٧) : « **قال لها يسوع لا تلمسيني ؛ لأنِّي لم أصعد بعد إلى أبي ولكن اذهبي إلى إخوتي ، وقولي لهم ، إنِّي أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم** » .

٥ ـ إنَّه متَّبعٌ لشريعة موسى عليه السَّلام ومكمِّلٌ لها

قال عز وجل : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران : ٥١] .

☚ قال « متَّى » في إنجيله (٥ / ١٧) عن المسيح أنَّه قال : « **لا تظنُّوا أنِّي جئت لأنقض النَّاموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمِّل** » .

٦ـ أنه دعا إلى التَّوبة :

وهو معنى قوله عز وجل ﴿ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آل عمران : ٥٠] .

وقد ذكر بعض الكُتَّاب أن لب دعوة المسيح عليه السلام حسب الأناجيل هو : الدعوة إلى التوبة ، والأخذ بشريعة موسى عليه السلام[١].

☚ وفي هذا ورد في « إنجيل متَّى » (٩ / ١٣) : « **لأنِّي لم آت لأدعو أبرارًا بل خطاة إِلى التَّوبة** » .

☚ وفي « إنجيل مرقص » (١ / ١٤) : « **وبعدما أسلم يوحنا[٢] جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت اللَّه ، ويقول : قد كمل الزَّمان واقترب ملكوت اللَّه فتوبوا وآمنوا بالإنجيل** » .

فهذه النُّصوص يظهر منها واضحًا بشريَّة المسيح عليه السَّلام ، وأنَّه رسول دعى بني إِسرائيل إلى عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، وهذا يتَّفق تمام الاتفاق مع ما ذكره اللَّه عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم عنه ، ويتَّفق مع دعوة الأنبياء السَّابقين الَّذين ورد ذكرهم في القرآن ، أو ذكرهم اليهود في كتبهم . كما يتَّفق ذلك مع العقل وترتاح له النَّفس .

وهذا بخلاف ما تَدَّعيه الكنيسة وتزعُمُه من الأمور المناقضة للعقل والشَّرع وسيأتي إِن شاء اللَّه بيان ذلك عند الحديث عن عقائد النصارى .

(١) انظر : المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤٩ ، والنصرانيّة والإسلام ص ١٤ .

(٢) أي بعد أن سجن يحيى عليه السَّلام من قبل حاكم اليهود . انظر تفسير العهد الجديد ص ٩١ .

المبحث الثالث

تاريخ النصرانية إجمالًا

إن الحديث عن تاريخ النصارى الأوائل والنصرانية من المصادر النصرانية يعتبر من أصعب الموضوعات وأكثرها تعقيدًا ، لأن التاريخ إنما يعتمد على النصوص والروايات المحفوظة التي تبين تاريخ حقبة ما .

والناظر في المصادر النصرانية يواجه مشكلة الانقطاع التاريخي في فترة من أهم الفترات المتعلقة بالنصرانية ، وهي الفترة التي تعقب رفع المسيح عليه السلام إلى منتصف القرن الثاني من الميلاد ، فإن هذه الفترة تعتبر فترة حرجة جدًا والمصادر التي يمكن أن يعتمد عليها في بيان تاريخ تلك الفترة تعتبر نادرة جدًا ، بل لايوجد بين يدي النصارى سوى كتاب « أعمال الرسل » الذي تحدث كاتبه في أوله عمن يزعم أنهم تلاميذ المسيح حديثًا محدودًا ، ثم خصص بقية كتابه للحديث عن بولس وأعماله ، ورغم ذلك فإن المعلومات عن بولس تنقطع قبل موته بعد وصوله روما ، وهذه النهاية التي انتهى إليها صاحب الكتاب هي نهاية المعلومات المتوفرة لدى النصارى عن تلك الفترة يضاف إلى ذلك مايمكن إستفادته واستخلاصه من رسائل بولس الأربع عشرة التي فيها إشارات قليلة تخص بولس من ناحية تاريخية إلا أنها شبه خالية من المعلومات عن الحواريين الذين هم تلاميذ المسيح عليه السلام الحقيقيون .

ومع ذلك فسنحاول ذكر تاريخ إجمالي للنصارى والنصرانية إلى عهد مابعد الإمبراطور قسطنطين حسب المعلومات المتاحة ، وذلك لإعطاء القارئ تصورًا عن النصرانية من ناحية تاريخية .

أولًا : المسيح عليه السلام من خلال مصادر النصارى

المسيح[١] هو عيسى بن مريم عليه السلام وينسبه النصارى إلى داود عليه السلام[٢] ويعتقدون أنه لا أب له من البشر ، لأن الله أرسل إلى مريم الملك جبريل عليه السلام فكان الحمل به عليه السلام[٣] ثم إنها وضعته بعد ذلك في بيت لحم في فلسطين ، وزعم صاحب إنجيل متى أن أمه ذهبت به من فلسطين إلى مصر خوفًا من هيرودس حاكم اليهودية ، الذي عزم على قتل جميع الأطفال الذين ولدوا في ذلك العام ، لأن منجمين مجوس أخبروه بولادة ملك اليهود[٤].

(١) يلاحظ أننا سنذكر هنا مايتعلق بالمسيح من ناحية تاريخية من خلال كتب النصارى وهي الأناجيل الأربعة وإذا كان هناك مايتعارض مع ماورد في مصادرنا الإسلامية نبين ذلك أو نحيل إلى موضع بيان ذلك .

(٢) انظر بيان مايتعلق بنسب المسيح في ص٢٢٦ .

(٣) لم يذكر النصارى نفخ جبريل عليه السلام في مريم ، وإنما ذكر الله عز وجل ذلك في القرآن الكريم بقوله عز وجل : ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم : ١٢] قال ابن كثير في تفسيره (٤/٣٥٥) : أن الله بعث جبريل عليه السلام فتمثل لمريم في صورة بشر سوي ، وأمره الله أن ينفخ بفيه في جيب درعها ــ فتحة ثوبها من قبل رأسها ــ فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ، أما النصارى فكلامهم في هذا غير ظاهر ولا واضح المعنى ، وقد ذكروا ذلك في موضعين من أناجيلهم ففي إنجيل متى (١/١٨) : « أما ولادة يسوع فكانت هكذا لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس » . وفي إنجيل لوقا (١/ ٣٤) بعد أن ذكر مجيء جبريل إلى مريم المخطوبة ليوسف وبشرها بأنه سيكون منها المسيح قالت مريم « وكيف يكون هذا وانا لست أعرف رجلًا ، فأجاب الملاك ، وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك ايضًا القدوس المولود منك يدعى ابن الله » . فقولهم « **وجدت حبلى من الروح القدس** » عبارة غامضة المدلول عن الطريقة التي تم بها الحمل ، وأشد غموضاً منها قول انجيل لوقا « الروح القدس يحل عليك » ، فماذا تعني يحل عليك ؟! مما يدل على أن كتاب الأناجيل عرفوا عموما أن المسيح ولد من غير أب بواسطة جبريل عليه السلام ، ولكن لم يعرفوا الطريقة فلذلك لم يحسنوا التعبير عنها .

(٤) انظر إنجيل متى (الإصحاح الثاني) .

وبعد بلوغ المسيح عليه السلام الثلاثين من عمره ابتدأ دعوته بعد أن اعتمد[١] من يحيى عليه السلام[٢] فكان يعظ الناس في أماكن تجمعهم ، وإذا رأى مرضى يشفيهم ويتجول في سائر المدن اليهودية ، وظهرت على يديه آيات كثيرة مثل تكثير الطعام ، وشفاء المرضى ، والمشي على الماء وغير ذلك وفي هذه الفترة المبكرة من دعوته التحق به من يزعم النصارى أنهم حواريو المسيح ، وتابعوه في رحلاته ، ثم أرسل تلاميذه اثنين اثنين إلى القرى للدعوة ، وشعر رؤساء اليهود بالخطر الذي سيحيق بهم ، من جراء دعوة المسيح عليه السلام ، لذا فقد اتفقت كلمتهم على ضرورة القضاء عليه .

فلما كان في اليوم الأول من أيام عيد الفصح[٣]، علم اليهود بمكانه في بيت المقدس ، وذلك بوشاية من أحد أتباعه وهو يهوذا الإسخريوطي ، فجاءوا وألقوا القبض عليه ، ففر تلاميذه وتركوه فأخذه اليهود إلى رئيس كهنتهم

(١) انظر معنى التعميد عند الحديث عن شعائر النصارى .

(٢) لايوجد لدى النصارى أي معلومات عن حياة المسيح عليه السلام الأولى وشبابه ، والأناجيل الأربعة لم تذكر سوى ولادته ، ثم تنتقل إلى فترة تعميده مباشرة ، والتي ابتدأ بعدها بدعوته ، ثم بعدها على أكثر تقدير بسنة واحدة أو بثلاث سنوات رفع إلى السماء ومعنى ذلك أن عمره كان في ابتداء الدعوة قرابة ثلاثين سنة وهي مدة لايعرف النصارى عنها شيئًا البتة سوى خبر أورده متى وهو عودة المسيح حين كان صبيًا من مصر ، وأخر في إنجيل لوقا عن تعلمه وتعليمه في الهيكل حين كان عمره اثنى عشر عامًا . كما أن النصارى لم يذكروا شيئًا عن تكلمه في المهد ولا يعرفون ذلك .

(٣) الفصح هو عيد يهودي ويسمونه أيضًا عيد الفطير لأنهم يأكلون فيه الخبز فطيرًا غير مختمر ، وهو عندهم عيد الضحية حيث يضحون فيه بحمل أو جدي ونحوه . وأصل هذا العيد ذكرى لنجاة بني إسرائيل من فرعون مصر . وقد استبدل النصارى عيد الفصح اليهودي بالعشاء الرباني حيث يزعمون أن المسيح هو حمل فصحهم المذبوح ، وأن الخبز والخمر رمز لتلك الأضحية عندهم وهو المسيح عليه السلام . انظر : الفكر الديني اليهودي ١٨٠ـ١٨٨ بتصرف ، شرح أصول الإيمان للقس اندرواس واطسون ٥٠٠ .

وواجهوه بما يتهمونه به إلا أنهم رأوا أن الشهود لاتتفق كلمتهم فيما شهدوا به عليه ، وأخيرًا سأله رئيس الكهنة وقال له : أأنت المسيح ابن المبارك ؟ فقال عيسى : أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيًا في سحاب السماء . فمزق رئيس الكهنة ثيابه . وقال ماحاجتنا بعد إلى شهود قد سمعتم التجاديف[١] مارأيكم ؟ حكم الجميع عليه أنه مستوجب للموت[٢].

ثم حملوه إلى الوالي الروماني بيلاطس البنطي الذي قرره بماكان متهمًا به وهو أنه « ملك اليهود » وهي التهمة التي أوعز اليهود إلى الوالي الروماني أن المسيح يدعيها لنفسه ، إلا أن المسيح لم يجبه بشيء[٣]، فرأى بيلاطس أنه لايستحق الموت ، وهو الجزاء الذي كان يطالب اليهود بإيقاعه به ، إلا أن بيلاطس بعد ذلك ونزولًا عند رغبة اليهود حكم عليه بالموت على الصليب فحمل يوم الجمعة صباحًا إلى موضع الصلب ، حيث علق على الصليب في زعمهم في الساعة الثالثة صباحًا[٤]وبقي على الصليب إلى الساعة التاسعة عصرًا ، حيث مات بعد أن صاح « إلهي إلهي لماذا تركتني » ثم أُنزِل عن الصليب وأدخل قبرًا بقي فيه تلك الليلة ونهار السبت وليلة الأحد ، فلما جاءوا صباح الأحد وجدوا القبر خاليًا ، وقيل لهم إنه قام من قبره ، ثم إنه ظهر

(١) التجاديف المراد بها الكلمات الكفرية ، أو الكلمات الموحية بكفر قائلها .

(٢) إنجيل مرقص (١٤/٦٢ـ٦٥) .

(٣) وهذا حسب الأناجيل الثلاثة متى ، مرقص ، لوقا ، أما إنجيل يوحنا فإنه ذكر محاورة بين المسيح وبيلاطس انظر الاصحاح ١٨/٣٣ـ٣٨ .

(٤) هذا على حساب الساعة الغروبي الذي يكون أول ساعة بعد غروب الشمس هي الساعة الواحدة ليلًا إلى اثنتى عشرة ساعة ، فتوافق في الغالب الساعة الأولى من النهار بعد طلوع الشمس ، فتكون الساعة الثالثة هنا صباحًا حوالي التاسعة والنصف في عرفنا والتاسعة توافق الثالثة والنصف مساءً .

لتلاميذه بعد ذلك ، وبين لهم أنه حي وبقى معهم حسب كلام صاحب أعمال الرسل « أربعين يومًا »[١]ثم ارتفع إلى السماء وهم ينظرون إليه[٢]، وكانت مدة دعوة المسيح حسب الأناجيل الثلاثة الأولى لاتزيد عن سنة واحدة إذ لم يذكروا خلال دعوة المسيح إلا عيدًا واحدًا ، أما إنجيل يوحنا فذكر ثلاثة أعياد[٣]لليهود لهذا يرى كثير من النصارى أن مدة دعوته كانت ثلاث سنوات[٤]، وكان أتباعه خلال هذه المدة والذين خَلفَّهم بعده ينحصرون في الاثنى عشر حواريًا وآخرين يبلغ مجموعهم مائة وعشرين فقط[٥].

وكل من نظر في الأناجيل التي بين يدي النصارى والتي تحوي دعوة المسيح ونشاطه ، وتحركاته ، ومواعظه ، يتيقن أن المسيح لم يؤسس ديانة جديدة البته ، بل كان يلتزم بشريعة موسى عليه السلام ويدعو إلى الالتزام بها ويحرم الخروج عليها[٦]، وبهذا أيضًا وصى تلاميذه الذين أرسلهم إلى الدعوة في القرى[٧].

---

(١) أعمال الرسل (٣/١) .

(٢) هذا ماأورده النصارى إجمالًا من قصة المسيح عليه السلام ومازعموه من صلبه وموته وقيامته ، وقد أفردت مبحثًا خاصًا عن الصلب وبيان التناقض في كلام النصارى فيه وبيان بطلانه انظر ص ٢٦٦ .

(٣) انظر إنجيل يوحنا (١٣/٢) ، (١/٥) (١/١٢) .

(٤) انظر تاريخ المسيحية (٣٣/١) .

(٥) أعمال الرسل (١٥/١) .

(٦) انظر إنجيل متى (١٧/٥) إنجيل لوقا (١٨/١٨) .

(٧) انظر متى (٥/١٠) ، مرقص (١٢/٦) ، لوقا (٢/٩ ، ١/١٠) .

أما محور دعوة المسيح عليه السلام حسب الأناجيل ، فهو الدعوة إلى التوبة والإنابة إلى الله والتبشير بالملكوت القريب[١]، وكان يضرب لهم الأمثال في ذلك ، ولايختلف في هذا عن الأنبياء من بني إسرائيل الذين سبقوه وجاءوا بعد موسى عليه السلام ، إلا أنه زاد في النهي عن الفواحش والفساد بتأكيد تحريم الوسائل إليها .

☚ فمن ذلك قوله في إنجيل متى (٢٧/٥) : « **قد سمعتم أنه قيل للقدماء لاتزن ، وأما أنا فأقول لكم إن من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه** » .

☚ وفي (٣٣/٥) : « **سمعتم أنه قيل للقدماء لاتحنث بل أوف للرب أقسامك ، وأما أنا فأقول لكم لاتحلفوا البته ..... بل ليكن كلامكم نعم . نعم ، لا . لا** » .

وكذلك أكد على التسامح والعفو والمحبة .

☚ وفي هذا يقول متى (٤٣/٥) : « **سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم باركوا لاعينكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم** » .

أما التشريع فلم يذكر عنه منه شيء سوى مايتعلق بالحض على عدم الطلاق وعدم زواج المطلقة .

☚ يقول متى عنه في (٣١/٥) : « **وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لكم إن من طلق إمرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني**

(١) انظر متى (١٧/٤) ، (١٢/٩) مرقص (١٧/٣) لوقا (١/٨) .

ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني » .

☚ وفي إنجيل لوقا (١٨/١٦) يقول : « **كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزني وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزني** » .

فهذا يدل على أن المسيح عليه السلام لم يؤسس ديانة جديدة البته بل كان شأنه ودعوته شأن ودعوة الأنبياء السابقين من بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام ، إلا أن الله جعله وأمه آية لبني إسرائيل .

ثانيًا : تلاميذ المسيح عليه السلام بعد رفعه

المصادر التاريخية لهذه الفترة بعد رفع المسيح عليه السلام نادرة جدًا ، وقليلة فلايوجد بين يدي النصارى سوى سفر أعمال الرسل الذي ورد فيه جانبًا من أعمال حواري المسيح وتلاميذه ، ثم خُصِصَ بقية الكتاب للحديث عن بولس ويضاف إلى هذا السفر بعض الجمل الواردة في الرسائل الملحقة بالعهد الجديد التي تتحدث عن شيء من تأريخ تلاميذ المسيح .

هذا كل مالدى النصارى من كتب عن هذه الفترة . ولهذا سنشير إشارة مختصرة إلى هذه الفترة حسب المعلومات المتاحة فنقول :

إن تلاميذ المسيح فيما يذكر النصارى بعد رفعه قاموا بالدعوة في جميع مدن اليهودية . وحسب سفر أعمال الرسل فقد أظهروا آيات وعجائب كثيرة قاموا بها وخاصة شفاء المرضى ، وبناءً على تلك الآيات أقبل الناس على سماع كلامهم والإستجابة لهم ، إلا أن هذا لم يمنع كهنة اليهود ورؤساءهم من أن يتوعدوا التلاميذ ويتهددونهم ليتوقفوا عن الدعوة ، إلا أن ذلك التهديد لم يوقف حماس التلاميذ ونشاطهم في الدعوة ، وتتركز دعوة التلاميذ

وتعاليمهم : على وجوب التوبة والتعميد والإيمان بالمسيح عيسى عليه السلام لتغفر لهم خطاياهم[١]وهي الدعوة التي كان المسيح عليه السلام يدعو إليها كما سبق بيانه .

ولم يكن في دعوتهم تصريح بألوهية المسيح ولابنوته لله ، بل أعلن « بطرس » كبيرهم فيما يذكر النصارى أمام اليهود في أول خطبة له عامه : « أن يسوع الناصرى رجل[٢]قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضًا تعلمون »[٣].

بعد هذا ازداد حنق اليهود على التلاميذ فقبضوا على أحدهم ويسمى إستفانوس ورجموه بالحجارة حتى قتلوه[٤]وقتلوا بعده آخر يسمى يعقوب أخو يوحنا[٥]ثم اضطهدوا بقية الأتباع ، حتى تشتت كثير منهم في سائر أنحاء اليهودية والسامرة ، وكان التلاميذ إلى ذلك الوقت مقتصرين في دعوتهم على أبناء جلدتهم من اليهود ، إلا أنهم رأوا أن غير اليهود يقبلون أيضًا دعوتهم وقد انضم إليهم عدد من اليونانيين ، فشجعهم هذا على تكثيف الدعوة بين الأجانب ، فأرسلوا برنابا[٦]إلى أنطاكية ليدعو الأجانب ، فآمن بدعوته أيضًا العديد من الناس ، وكان قد انضم إلى التلاميذ بولس « شاؤول

---

(١) انظر سفر أعمال الرسل (٣٨/٢) .

(٢) فصرح هنا بطرس بأن المسيح عليه السلام رجل وليس ابن الله وأن ما أظهر من أيات إنما هي في حقيقتها صنع الله عز وجل أجراها على يديه .

(٣) أعمال الرسل (٢٢/٢) .

(٤) أعمال الرسل (٥٨/٧) .

(٥) أعمال الرسل (٢/١٢) .

(٦) سيأتي الحديث عنه عند ذكر إنجيل برنابا ص ٢٤٠ .

اليهودي »[١]فكُلِفَ هو وبرنابا بدعوة الوثنيين ، فنجحا في دعوتهما نجاحًا كبيرًا ، وحدث من جراء قبول الوثنيين اليونانيين وغيرهم للديانة النصرانية إشكال خطير ، وهو أن بعض دعاتهم صاروا لايلزمون من تنصر من الوثنيين بالتمسك بتعاليم الشرائع الموسوية ، وعلى رأس هؤلاء بولس ، وأما الدعاة الآخرون فكانوا يرون وجوب العمل بتعاليم الشريعة الموسوية ومن ضمنها الختان .

فحدث خلاف بينهم ، اجتمعوا على إثره في مجمع في بيت المقدس فقرروا عدم مطالبة الوثنيين بالإلتزام بالشريعة ، ويكتفى من ذلك بالامتناع عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا »[٢]. هكذا ذكروا .

وينتهي بعد هذا خبر التلاميذ ، ولايعلم على التحديد ماحدث منهم ولا ماحدث عليهم ، وإنما يمكن تتبع بولس في دعوته ، وأنه نشط نشاطًا قويًا في دعوته فزار مدنًا عديدة في آسيا ، ثم كان خاتمة مطافه في روما ، وهذا آخر ماذكره صاحب سفر الأعمال ، ولايعطينا عن خاتمة حياة بولس شيئا ولا يعرف النصارى على التحقيق عنها شيئًا .

ثالثًا : العصور اللاحقة لعصر تلاميذ المسيح إلى مجئ الإمبراطور قسطنطين

إن الحديث عن العصور المتقدمة من هذه الفترة يلفه الغموض الشديد ويكاد يكون الجهل بتلك الفترة جهلًا مطبقًا ، وهي فترة من أكثر فترات التاريخ النصراني غموضًا وأشدها صعوبة وخطورة ، إذ أفرزت هذه الفترة وخاصة

(١) سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في فصل خاص انظر ص٣٥٢ .
(٢) أعمال الرسل (١٥/٢٩) .

اللاحقة مباشرة لعصر التلاميذ بروز الأناجيل الكثيرة ، التي ظهرت في وقت متقارب من تلك الفترة ، وهي متضاربة تضاربًا شديدًا[١] .

كذلك برزت للوجود الأقوال المنحرفة الكثيرة عن المسيح وديانته ، وهي أيضًا أقوال متضاربة متباينة .

يقول الكاتب النصراني حبيب سعيد متحدثًا عن تلك الفترة « ومع أنه من اليسير جمع نتف من هنا وهناك عن هذه الفترة ــ نهاية عصر الحواريين ــ إلا أن الأربعين سنة من ٧٠ إلى ١١٠م ــ تبقى أكثر فترات التاريخ المسيحي غموضًا وإبهامًا ، وهو أمر يؤسف له ، لأن هذه الفترة حفلت بكثير من معالم التغيير في الكنيسة نفسها ، ولأن فيها برز كثيرون من دعاة المسيحية المجهولين بعد « بولس » ، وظهر كثير من الأفكار التي حملها بلاشك المتنصرون الوثنيون من مصادر غير مسيحية وخاصة حول العقائد والممارسات المسيحية ، مثل الأسرار ، والأصوام وأشكال العبادة ، ودستور الكنيسة نفسه خضع لبعض التعديلات »[٢].

ويميز هذه الفترة المتقدمة من تاريخ النصارى حادثة مهمة جدًا لعلها من أهم الحوادث التي وقعت على النصارى بعد رفع المسيح عليه السلام ألا وهي حادثة تدمير بيت المقدس من قبل القائد الروماني تيطس سنة ٧٠م في عهد الإمبراطور « لوسباسيانوس » حيث قضى هذا القائد على اليهود في فلسطين وخاصة في القدس قضاءً شبه تام بسبب ثورتهم ضد الرومان[٣].

(١) ستأتي دراسة مفصله للأناجيل عند الحديث عن مصادر النصارى ص ١٩١ وما بعدها .
(٢) تاريخ المسيحية (٤٧/١) .
(٣) انظر تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٣٨٠ـ٣٨٣ .

ولاشك أن عملية القتل والإبادة هذه قد طالت أكبر عدد من النصارى في ذلك التاريخ ، لأنه لم يكن هناك فرق بين اليهودي والمتنصر إبان تلك الفترة كما أن البلاء والقتل والإبادة كان شبه عام لجميع المناطق التي يتواجد فيها اليهود في فلسطين خاصة والمناطق المجاورة لها .

ومن هنا فإن الحديث عن تلك الفترة فيه عسر واضح ، إذ أنها حلقة مجهولة في تاريخ النصرانية ، حتى إن نهاية أتباع المسيح عليه السلام وكذلك بولس تعتبر مجهولة[١] بسبب ذلك البلاء الطويل الذي حل باليهود متتابعًا متلاحقًا من قبل الرومان ، منذ رفع المسيح عليه السلام إلى تدمير تيطس لبيت المقدس سنة ٧٠م ، ثم استمر البلاء على من بقي منهم إلى التدمير الثاني في عهد الإمبراطور « أدريان » حيث تجمع مجموعة من اليهود وأمروا عليهم رجلًا يسمى « بركوكبا » .

وزعموا أنه المسيح المنتظر فخرج بهم على الرومان فماكان من الإمبراطور الروماني « أدريان » حوالي عام ١٣٠م إلا أن أرسل حملة كبيرة وأمرها بتدمير جميع المحلات التي يمرون عليها ، محلًا ، محلًا واستمر في ذلك سنتين حتى دمر بلاد اليهود ، وقضى عليهم ، وأعاد تدمير بيت المقدس وبنى محله هيكلًا للمشتري ، معبود الرومان في ذلك الوقت وحرم على اليهود الدخول إلى بيت المقدس إلا يومًا واحدًا في السنة بعد دفع غرامة مالية كبيرة[٢].

فلاشك أن أحداثًا جسامًا كهذه كانت سببًا من الأسباب المباشرة للانقطاع

---

(١) انظر تاريخ المسيحية ٣/١ .

(٢) انظر تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ٣٨٧ .

التاريخي البيِّن في تاريخ النصارى الذين كانوا في ذلك الوقت لايتميزون عن اليهود بشيء خاصة لدى من هو خارج إطارهم مثل الرومان واليونان الوثنيين .

كما أن الثقل الديني والالتزام بمبادئ المسيح عليه السلام كان متمركزًا في بيت المقدس ، وكان سبق أن حدث انقسام بين دعاة النصارى في مسألة شريعة موسى عليه السلام ووجوب التزامها وإلزام المتنصرين من الوثنيين بها وكان المحافظون على الشريعة والموجبون للالتزام بها من المتبعين للمسيح من اليهود هم القوة الغالبة في ذلك الوقت .

إلا أن تدمير بيت المقدس وقتل اليهود وجه لهذه الفئة بالذات ضربة قاصمه وأفسح المجال لبولس وأتباعه المنادين بإلغاء العمل بالشريعة الموسوية وفصلها عن ديانة المسيح عليه السلام والذين كانت مراكز دعوتهم خارج فلسطين ، لهذا خلت لهم الساحة بعد القضاء على أتباع المسيح في فلسطين[١]، يقول حبيب سعيد «أما خراب أورشليم في الشرق إثر التمرد اليهودي سنة ٧٠م فكان له أثر عميق في المسيحية ، وذلك لأنه قضى على الجماعات الفلسطينية ، وتضخم أعداد متنصرى الوثنية ، من العوامل التي جعلت كفاح « بولس » للتخلص من اليهودية الناموسيه الضيقه غير ذي موضوع ، وغدت أنطاكيه وروميه وبعدها أفسس أهم المراكز في تطور التاريخ المسيحي »[٢] .

والناظر في تاريخ تلك الفترة يجد أنها أفرزت افرازات خطيرة جدًا في الديانة النصرانية حيث ظهرت المذاهب والأقوال المختلفة والمتباينة في المسيح وديانته نذكر منها :

---

(١) يقصد المتضرين من بني اسرائيل والذين لم يقبلوا تغييرات وابتداع بولس

(٢) تاريخ المسيحية (٤٦/١) .

- **الغنوصية**[١]: وهو اسم يطلقه النصارى على فرق عديدة ، تجمع في عقيدتها بين إلهين اثنين أو أكثر ، وتبني مطالبها على المعرفة[٢].

المارسيونية أو الماركونية : وهم أتباع مارسيون الذي ولد في آسيا سنة ٨٥م وبعضهم يقول ١٢٠م ، ومن معتقداته القول بإلهين : أحدهما إله اليهود وهو في زعمه إله قاس شرس ، وهو الذي خلق هذا العالم المادي .

ومع ذلك فهو أقل مستوى من الإله الآخر الذي هو إله الرحمة والمحبة حيث هو الإله الحقيقي المحتجب والذي ظهر في شخص المسيح ، ويرى أن المسيح لم يمت على الصليب ولم يدفن ولم يقم من القبر ، ولكنه اختفى فجأة ليبشر الموتى في الهاوية ثم رجع بعد ذلك ليقوم بعمله كالأب المحتجب في السماء

المونتانية : وهي تنسب إلى رجل اسمه « مونتانس » ادعى النبوة بعد منتصف القرن الثاني الميلادي ، وزعم أن الروح القدس يتكلم إليه ، وتنبأ معه أيضًا امرأتان أعلنتا قرب نهاية العالم وقرب رجوع المسيح عليه السلام .

ولكي يستعدوا لهذا المجيء أمرت المتنبئتان الناس بالكف عن الزواج وعن شرب الخمر وعن الأطعمة الشهية ، وصاروا ينتظرون مجيء المسيح ، حتى خرج مجموعة منهم إلى الصحراء لاستقبال المسيح ، وكادوا أن يهلكوا من الجوع والعطش لولا أن السلطات أنقذتهم . وقد استمرت المونتانية قائمة إلى القرن الخامس الميلادي[٣].

---

(١) الغنوصية : كلمة يونانية تترجم بـ « العرفانية » ، وهي فلسفة دينية صوفية . انظر : موسوعة الفلسفة (٨٦/٢)

(٢) انظر فرق الغنوصية ومقالاتها في تاريخ الفكر المسيحي ٣٩٦/١ .

(٣) تاريخ الكنيسة (١٢٠/١) .

البنويون : وقولهم : أن المسيح إنسان ولد من مريم بطريقة إعجازية وأن الله عز وجل في وقت تعميد المسيح تبناه ووهبه قوة لعمل المعجزات واستمر بشرًا إنسانًا إلى أن صلب ثم مات ، وقام من الموت ، ورفع إلى السماء ، وهم ينتظرون مجيئه ليخلص أتباعه من العار الذي أصابهم بسبب صلبه ، وهم يتمسكون بالشريعة الموسوية(١).

الانتحالية أوالوحدوية : وهي عدة مذاهب نصرانية نادت بأن الله واحد وليس ثلاثة ولها مذاهب وأقوال منها :

السابليوسية : نسبة إلى الكاهن سابليوس المتوفى سنة ٢٦١م وهو كما قيل عنه يعتقد : بأن الله واحد غير قابل للتجزئة وينكر الثالوث إلا أنه يرى أن الله الخالق تجسد بعد في صورة المسيح فصار إبنًا ، فتألم وصلب ثم تحول بعد ذلك إلى الروح القدس الذي صار مرشدًا للتلاميذ . فعنده أن الله واحد قد أخذ هذه الأدوار الثلاثة كلها .

بولس السميساطي : وهو أسقف أنطاكيه الذي رُسِّم أُسقفًا لها سنة٢٦٠م وكان يقول إن الله واحد ، وأن كلمته وحكمته من صفاته ، وأن هذه الصفة « الكلمة » حلَّت على المسيح الذي هو بشر ولد من مريم فحين حلَّت عليه الكلمة صار المسيح الفادي والمخلص ، ورفعه الله مكافأة له ، وأعطاه إسمًا فوق كل اسم .

الأريوسية : نسبة إلى الأسقف الليبي « آريوس » الذي درس على تلميذ بولس السميساطي وهو « لوقيانوس » وكان آريوس يعلم بأن الله إله واحد غير

(١) تاريخ الفكر المسيحي (١/٤٩٠-٤٩٧) .

مولود أزلي ، أما الابن فليس أزليًا بل وجد وقت لم يكن الابن فيه موجودًا وهو خرج من العدم مثل غيره من المخلوقات حسب مشيئة الله ، فهو ليس إلهًا ، ولايملك شيئًا من الصفات الإلهية ، إلا أن الله منحه مجدًا جعله فوق كل الخلائق .

وقد انتشرت الآريوسيه إنتشارًا عظيمًا ، وهي التي انعقد مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م بأمر الإمبراطور قسطنطين[١]للنظر فيها وغيرها من المذاهب التي كان يتوزع إليها النصارى في ذلك الوقت[٢].

فهذه المذاهب والأقوال المتباينة كانت منتشرة بين النصارى في ذلك الوقت ولأتباعها نشاط قوي أيضًا ، وكانت المواجهات القوية كثيرًا ماتحدث بينهم وبين من يخالفهم ، وخاصة أتباع مذهب « بولس » الذي كان له تلاميذ وأتباع فيما يظهر أقوياء وذوي نشاط في دعوتهم ، وقد استطاعوا أن يترأسو المراكز الدينية في ذلك الوقت ، بعد سقوط عاصمة الديانة الأولى ، وهي بيت المقدس ، وتلك المراكز تمثلت في أنطاكية ، والإسكندرية ، وروما ، وكانت في الغالب في يد أتباع بولس ، وقد كان من أولئك الأتباع :

أسقف أنطاكيه إغناطيوس الأنطاكي الذي نصب أسقفًا لكنيسة أنطاكية وذلك في سنة ٧٠م[٣].

وأسقف كنيسة روما إكلميندس الروماني الذي نصب فيما يظن من سنة

(١) انظر الحديث عن هذا في الكلام على المجامع النصرانية ص٢٤٩ .

(٢) انظر مرجعًا لهذه النحل كل من كتاب تاريخ الكنيسة لجون لوريمر (١/١٠٢ـ١٢٣) تاريخ الفكر المسيحي حنا الخضري (١/٥٩٢ـ٦٢٠) .

(٣) تاريخ الفكر المسيحي ١/٤١٥ـ٤١٧ ، تاريخ المسيحية ١/٦١ .

٩٢ـ١٠١م[١].

وأسقف سميرنا (أزمير) بوليكاربوس : الذي قتل في اضطهادات الحاكم ماركوس أوريليوس سنة ١٥٦م[٢].

وأسقف ليون ايريناوس : الذي يعتقد أنه توفي بين سنتي ١٩٠ـ٢٠٢م[٣].

جاستين ـ يوستينوس مارتر الذي فتح مدرسة في روما ثم أعدم في سنة ١٦٥م[٤].

واكلميندس الإسكندري : الذي ولد سنة ١٥٠م في بلاد اليونان ثم انتقل إلى الإسكندريه حيث التحق بمدرستها التي تدعى « مدرسة التعليم المسيحي »[٥] وتولى إدارتها ويعتقد أنه توفي سنة ٢١٥م[٦].

وإريجانوس المصري : الذي ولد حوالي ١٨٥م في الإسكندريه ، وتولى إدارة المدرسة اللاهوتية فيها بعد مديرها السابق ، توفي في صور سنة ٢٥٣م[٧] .

وإثناسيوس : الذي نُصِّبَ أسقفًا على الإسكندريه سنة ٣٢٨م خلفًا

---

(١) تاريخ الفكر المسيحي (٤٢٠/١) .

(٢) تاريخ الفكر المسيحي (٤٢٦/١) ، تاريخ المسيحية (٩٨/١) .

(٣) تاريخ الفكر المسيحي (٤٣١/١) تاريخ المسيحية (١٣١/١) .

(٤) تاريخ الفكر المسيحي (٤٤٤/١) تاريخ الكنيسه (٩٨/١) .

(٥) هذه المدرسه أسسها فيما يقال باتينوس الذي كان وثنيًا رواقيًا قبل المسيحية وقد أسس مدرسة الاسكندرية اللاهوتيه سنة ١٧٩م وقام بالتعليم فيها . انظر تاريخ المسيحية (١٢٧/١) تاريخ الفكر المسيحي (٥٠١/١) . وهذه المدرسة كان لها الدور الأكبر بعد في الوقوف في وجه دعوة آريوس إلى التوحيد ، وذلك عن طريق الاسقف الإسكندروس ثم اثناسيوس ، اللذان كان لهما الدور الأكبر في الدعوة إلى ألوهية المسيح ومحاربة التوحيد في ذلك الوقت .

(٦) تاريخ الفكر المسيحي (٥٠٠/١) تاريخ المسيحية (١٣٨/١) .

(٧) تاريخ الفكر المسيحي (٥٣٩/١) تاريخ المسيحية (١٣٨/١) .

لإسكندروس ، واللذان كان لهما أكبر الأثر في تحريف دين المسيح عليه السلام بترسيخ عقيدة ألوهية المسيح في مجمع نيقيه الذي دعا إليه الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٢٥م ونبذ دعوة التوحيد التي كان يتزعمها آريوس الليبي[١].

وكانت هذه المواجهات بين المختلفين من دعاة النصارى وأساقفتهم تنتهي في الغالب بالدعوة إلى مجمع من المجامع ، الذي يعلن في نهايته بحرمان من قصد حرمانه وطرده من الشركة النصرانية[٢]وفي الغالب لاينصاع المطرود والمحروم لتلك القرارات ، بل يستمر في نشر تعاليمه[٣].

ومن المعلوم أن النصارى في تلك الفترة لم تكن لهم دولة ، ولم يقم لهم تجمع متكامل بحيث يمكن أن يقال عنهم إنهم أمة مجتمعة ، بل كانوا أول الأمر يعيشون بين بني جنسهم اليهود ثم بين الوثنيين ، وهذا جعلهم في حالة من البلاء والعذاب شديدة ، فحين كانوا بين بني جنسهم اليهود كانوا يُضْطَهدون لأن اليهود اعتبروهم خارجين عن شريعتهم ، وفي نفس الوقت يضطهد الجميع الرومان الوثنيون الذين كانوا لايعرفون فرقًا بين اليهودي والنصراني ، لهذا فقد كان لثورات اليهود على الرومان أسوأ الأثر على النصارى . وبعد القضاء على اليهود وطرد من بقي منهم خارج فلسطين واجه النصارى الذين كانوا بين الوثنيين إضطهادًا شبه متواصل من قبل حكام الرومان الوثنيين[٤]استمر قرابة ثلاثة قرون ، إلى أن تولى الإمبراطور قسطنطين عرش روما ، فأوقف الاضطهاد بمرسوم ميلان

(١) تاريخ الفكر المسيحي (٦٤٢/١) تاريخ المسيحية (١٥٢/١) .

(٢) مقصدهم بذلك الحكم بانحرافه عن الدين والحكم عليه بالكفر وإخراجه من الجماعة .

(٣) انظر تاريخ الفكر المسيحي (٤٨٠/١) في موقف الكنيسة من المارسيونية ، وفي (٦٠٦/١ـ٦٠٨) في الموقف من بولس السميساطي ، وفي (٦٣٢/١) في موقف الكنيسة من الآريوسية .

(٤) انظر : فصل عوامل تحريف رسالة المسيح .

سنة ٣١٣م[١]، وابتدأ النصارى منذ ذلك التاريخ ، يظهرون على السطح ، وبدأت ديانتهم تنتشر انتشارًا فعليًا على حساب الوثنية التي كانت تدين بها أكثر الشعوب في ذلك الوقت ، إلا أن النصرانية نفسها في هذه الفترة المتأخرة قد وصلت إلى الوثنيين وقد تأثرت بما حولها من الديانات والثقافات ، وأثرت في أصحابها السنون العجاف المتطاولة التي مرت بهم ، وأمور أخرى عديدة فانحرفوا عن دين المسيح عليه السلام وجعلوه دينًا وثنيًا يقوم على تأليه المسيح عليه السلام ، بل تأليه ثلاثة آلهة في ثلاثة أقانيم يزعمون أنها إله واحد ، ويعتمدون في شرح الديانة وتفصيل العقيدة على الفلسفة ، وخاصة الأفلاطونية الحديثة والرواقية ، وكان من يسمون بالمدافعين عن النصرانية في تلك العهود جلهم قد درس الفلسفة الوثنية ، وربما كان تابعًا لها فترة طويلة ثم تحول إلى النصرانية بفلسفته وسابق تصوراته[٢]فهذا كله جعل الوثني لايجد فرقًا كبيرًا بين ماكان يعتقد ومايدعوا إليه النصارى .

وكان لتنصر أباطرة الرومان وأولهم قسطنطين أكبر الأثر في انتشار النصرانية في الدولة الرومانية المترامية الأطراف ـ والناس على دين ملوكهم ـ إلا أن تنصر الأباطرة قد جعل النصارى يواجهون مشكلة كبرى وهي وصاية الأباطرة على الديانة وتعاليمها ، حيث صارت بعد ذلك في يد الأباطرة الرومان الذين يسيرون العقائد النصرانية وفق أهوائهم ، فينصرون من المذاهب مايتفق مع أهوائهم ، فإذا كان هناك أحد يدعوا إلى تعاليم لايميلون إليها فإنهم يطلبون من النصارى عقد مجمع ويوعز إليهم بطرد ولعن من لايرغبون ، يقول حبيب سعيد : « وباحتضان الإمبراطورية للكنيسة ، تعرضت القوى الروحية في

(١) انظر تاريخ الكنيسة (١١٩/٢) .

(٢) انظر تأثير الفلسفة الوثنية على النصرانية ص٣١٧ .

الكنيسة لخطر الإختناق والفناء ـ وغدا تنفيذ القانون الكنسي ، واستدعاء المجالس العامة وتنفيذ قرارتها ، وتعيين الأساقفة في المراكز الهامة ، وحق الإختصاص الأعلى للمحاكم الروحية ، والقول الفصل في المشاكل الجدلية والتي قد تنشأ حول العقائد ، غدت كلها من الحقوق التي طالبت بها الدولة الرومانية وأصرت على انتزاعها من السلطات الدينية »[1].

يؤكد لنا هذا التسلط ويوضحه أن الذي دعا إلى مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م هو الإمبراطور قسطنطين وكان حاضرًا في ذلك المجمع وقرر فيه أُلوهية المسيح وطرد أريوس وجماعته ، ثم صدق بعده بعشر سنوات على قرارات مجمع صور التي فيها إعادة أريوس إلى الكنيسة وطرد إثناسيوس الذي كان وراء إقرار الوهبة المسيح عليه السلام .

ثم دعا كل من الإمبراطور الغربي قسطنطين الثاني والإمبراطور الشرقي قسطنديوس إلى مجمع في مدينة ساردیكا سنة ٣٤٣م بغرض توحيد النصارى ، لكن النصارىلم يتفقوا وخرجوا أشد اختلافًا وتفرقًا .

ثم بعد مقتل الإمبراطور قسطنطين الثاني دعا الإمبراطور قسطنديوس إلى مجمع ميلانو سنة ٣٥٥م وطلب من الأساقفة إصدار حكم بخلع اثناسيوس ووقعت الأغلبية على ماأراد ، ثم دعا ذلك الإمبراطور أيضًا إلى مجمعين في نفس الوقت مجمع في تركيا ومجمع في إيطاليا سنة ٣٥٩م وأمر الذين يشرفون على مجمع إيطاليا بإرغام المجتمعين على التوقيع على قرار المجمع الذي يوافق نوعًا ما مذهب الآريوسيين الذين يسمون « الأريوسيين المعتدلين » .

---

(١) تاريخ المسيحية (١٤٤/١) .

كما استخدم القوة العسكرية من أجل إرغام المجتمعين في تركيا على التوقيع ، ثم جاء الإمبراطور ثيود وسيوس وكانت ميوله ضد الأريوسية[١]فدعا إلى مجمع القسطنطينة سنة ٣٨١م ، وقرر المجمع العودة إلى قانون الإيمان النيقوي[٢]وزادوا عليه : ألوهية الروح القدس واعتبار الأريوسيه ضد القانون الروماني[٣]، وهو المذهب الذي عليه الغالبية العظمى من النصارى إلى الآن .

وهكذا نجد أن النصرانية صارت ألعوبه بيد أباطرة الرومان يسيرونها وفق أهوائهم ورغباتهم إلى أن سقطت الدولة الرومانية أمام هجمات القبائل القادمة من الشرق والشمال الشرقي التي استولت على روما سنة ٤١٠م[٤].

وبهذا نكون قد عرضنا في هذا المبحث التاريخ النصراني المبكر بشكل مختصر ، ولعله يكون وافيًا بالغرض ، ولابد أن نبين هنا أن انتصار أتباع بولس ومذهبه قد جعل مصادر دارسي مثل هذه الموضوعات تعتمد عليهم ، فهم الذين نقلوا كل هذه المعلومات عن معلميهم ، وعن الفرق الأخرى ومعلميها لذا فإن الحكم على صحة المعلومات عن تلك الفرق وأولئك الناس وخاصة في مجال العقيدة لايكون صحيحًا دقيقا إلا في حالة الاطلاع على كلام صاحب المقالة أو كلام تلاميذه وأتباعه عنه فعلى المطالع لذلك الانتباه في هذا الموضوع والحذر . والله تعالى أعلم ...

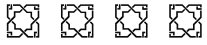

---

(١) انظر تاريخ الكنيسة (١٠٩/٣) .

(٢) انظر قانون الايمان ص٢٢١ عند الحديث عن مجمع نيقيه .

(٣) انظر تاريخ الفكر المسيحي (٦٤٦/١ـ٦٦٤) تاريخ الكنيسة (١١١/٣) .

(٤) انظر تاريخ الكنيسة (١٤٠/٣) .

الفصل الثَّاني

مصادر النَّصرانيَّة

المبحث الأول : الكتاب المقدَّس

المبحث الثَّاني : المجامع النَّصرانيَّة

النصارى يستمدُّون عقائدهم وتشريعاتهم ومعارفهم الدينية من مصدرين أساسيَّين هما :

أوّلًا : الكتاب المقدَّس

ثانيًا : المجامع النَّصرانيَّة

وسنتحدث عن كل واحد منهما في المباحث التالية :

★ ★ ★ ★

المبحث الأول

الكتاب المقدَّس

النَّصارى يقدسون كُلًّا من العهد القديم والعهد الجديد ويَضُمُّونها معًا في كتاب واحد يطلقون عليه اسم « الكتاب المقدَّس » .

والعهد القديم : هو التَّوراة والكتب الملحقة بها[١] ، وقد سبق ذكرها وتعريفها .

أما العهد الجديد : فهو مجموعة من الأناجيل والرسائل الملحقة بها وتتضمن حسب المدون فيها : دعوة المسيح عليه السلام ، وتاريخه ، وشيئًا من دعوة أوائل النصارى ، وتاريخهم ، ورسائل دينية أخرى ، وهي على الترتيب : ـ

١ ـ إنجيل متَّى ٢ ـ إنجيل مرقص ٣ ـ إنجيل لوقا ٤ ـ إنجيل يوحنا ٥ ـ أعمال الرسل ٦ ـ رسالة بولس إلى أَهل رومية ٧ ـ رسالة بولس الأُولَى إلى كورنثوس ٨ ـ رسالة بولس الثَّانية إلى كورنثوس ٩ ـ رسالة بولس إلى غلاطية ١٠ ـ رسالة بولس إلى أفسس ١١ ـ رسالة بولس إلى أهل فيلبي ١٢ ـ رسالة بولس إلى أهل كولوسي ١٣ ـ رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي ١٤ ـ رسالة بولس الثَّانية إلى أهل تسالونيكي ١٥ ـ رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس١٦ ـ رسالة بولس الثَّانية إلى تيموثاوس ١٧ ـ رسالة بولس إلى تيطس ١٨ ـ رسالة بولس إلى فليمون ١٩ ـ الرسالة إلى العبرانيين ٢٠ ـ رسالة يعقوب ٢١ ـ

---

(١) العهد القديم بالنسبة للنصارى منسوخ حكمًا فلا يعملون بشيء من تشريعاته ، وقد ألغي العمل به بولس إلاّأنهم يعتقدون قداسته ويستفيدون منه معارفهم الدينية مثل المعلومات المتعلقة بخلق السموات والأرض ، وخلق آدم ، وقصص الأنبياء ، كما يقتبسون منه كثيرًا من الأدعية في صلواتهم وخاصة من المزامير ، التي تتضمن كثيرًا من الأدعيـة والابتهالات .

سالة بطرس الأولى ٢٢ ـ رسالة بطرس الثَّانية ٢٣ ـ رسالة يوحنا الأولى ٢٤ ـ رسالة يوحنا الثّانية ٢٥ ـ رسالة يوحنا الثّالثة ٢٦ ـ رسالة يهوذا ٢٧ ـ رؤيا يوحنا اللاهوتي .

وسنكتفي في هذه الدِّراسة الموجزة ببيان حال الأناجيل لأهميتها من ناحية ثبوتها وصحة نسبتها إلى من تنسب إليه .

وهل يصح اعتبارها كتبًا مقدسة أم لا ؟ [١] :

(١) الرسائل الملحقة بالأناجيل هي في الحقيقة أقل حالًا من ناحية صحة نسبتها إلى من تنسب إليه وإن كان لها في الواقع الدور الأكبر في تشكيل الديانة النصرانية وخاصة رسائل بولس .

المطلب الأول

إسناد وتأريخ الأناجيل الأربعة

تمهيد في التعريف بالإنجيل

الإنجيل كلمة يونانية تعني الخبر الطَّيب[١] (البشارة) .

والإنجيل عند المسلمين : هو الكتاب الَّذي أنزله اللَّه تعالى على عيسى عليه السَّلام هدى ونور . قال تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٤٦] .

وقد دعى المسيح عليه السَّلام بني إسرائيل للأخذ بالإنجيل والإيمان به .

☚ فقد جاء في « إنجيل مرقص » (١ / ١٤) : « **وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت اللَّه ، ويقول : قد كمل الزَّمان واقترب ملكوت اللَّه فتوبوا وآمنوا بالإنجيل** » .

وقد ذكر هذا الإنجيل أوائل النَّصارى ودعوا إلى الإيمان به .

☚ وفي هذا يقول « سِفْر أعمال الرُّسل » ٨ / ٢٥ عن بطرس ويوحنا في دعوتهما للسَّامريِّين من اليهود : « **وكما شهدا وتكلَّما بكلمة الرَّبِّ رجعا إلى أورشليم وبشَّرا بالإنجيل في قرى كثيرة للسَّامريين** »[٢] .

---

(١) قاموس الكتاب المقدَّس ص ١٢٠ .

(٢) هذا النَّصُّ مأخوذ من نسخة الكتاب المقدَّس المطبوعة في لبنان عام ١٩٩٢ م بعناية اغناطيوس زياده / دار الكتاب المقدَّس في الشَّرق الأوسط ، أمَّا طبعة « دار الكتاب المقدَّس في القاهرة » وهي التي استخدمها غالباً وهي النُّسخة البروتستانتية فلا يُوجَدُ فيها كلمة الإنجيل في هذا الموضع .

وذكره « بولس » أيضًا في رسائله ، منها قوله في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي (٢ / ٢) « **جاهرنا في إلهنا أن نكلِّمكم بإنجيل اللَّه في جهاد كثير لأنَّ وعظنا ليس عن ضلال ولا عن دنس ولا بمكر ، بل كما اسْتُحْسِنا من اللَّه أن نؤتمن على الإنجيل هكذا نتكلَّم ..** » ثم يقول : « ... **فإنَّكم أيُّها الأخوة تذكرون تعبنا وكدنا إذ كنَّا نكرز لكم بإنجيل اللَّه ..** »[١] .

فإذًا الإنجيل كان كتابًا موجودًا ومعروفًا لدى النَّصارى الأوائل بأنَّه إنجيل اللَّه أو إنجيل المسيح . إلَّا أنَّ هذا الإنجيل لا نجده بين الأناجيل الموجودة بين يدي النصارى اليوم فأين هو ؟[٢].

---

(١) وانظر أيضا ذكره للإنجيل في رسالته إلى أهل رومية (١ / ١ ، ٩ ، ١٦) ، ورسالته الأولى إلى تيموثاوس (١ / ١١) .

(٢) يزعم بعض النصارى أن المسيح لم ينزل عليه شيء ولم يترك كتابًا مكتوبًا ، وذكروا أن الأناجيل كان مبدؤها من الأجيال اللاحقة للمسيح ، وذكروا أن المراد بالإنجيل في كتبهم هو إعلان مجد الله الذي هو في زعمهم تجسد المسيح ــ انظر المدخل إلى العهد الجديد ص ٧٦ــ٧٨ ، أديان العالم ص٢٥٧ .

وهذا منهم ذر للرماد في العيون من أن تبصر الحقيقة ، وهي أن النصارى ضيعوا الإنجيل الأصلي واستبدلوه بأناجيل فيها شيء من الحق وكثير من الباطل ، فهل من المعقول أن يترك المسيح أتباعه بدون أن يسلمهم تعاليم يهتدون بها وهم في وسط ذلك الوضع الذي كانوا فيه بين اليهود الحاقدين المعاندين وبين الرومان وغيرهم من الوثنيين الجاهلين ، ثم إن ماتدعيه النصرانيه في المسيح عليه السلام من الدعاوى يحتاج إلى أدلة كتابية من صاحب الدعوى نفسه لامن غيره ، لأن المؤمنين إنما يؤمنون بكلام النبي الذي يثقون به لاكلام غيره من الناس ، إذ أن غيره قد يفهم عنه خطأً أو يهم أو ينسى أو غير ذلك من العوارض البشريه ، كما أن معنى ذلك أن تلاميذ المسيح أو تلاميذ تلاميذه أصح من المسيح رأيًا وانصح منه للخلق إذ كتبوا ودونوا واهتموا بالكتابة حتى يمكن لتعاليمه أن تنتشر لأنه بدون الكتابه لا يمكن لديانة أن تنتشر وتظهر ، فهل يليق أن يقال ذلك عن المسيح الذي هو في زعمهم رب وإله ؟!

على النَّصارى أن يجيبوا على هذا السؤال . أو يعترفوا بأنَّهم فَقَدُوه في زمن مبكر من تاريخهم ، ولعلَّ هذا هو الأرجح .

إذ يقول اللَّه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [المائدة : ١٤] .

وقد صار عند النصارى بدل الإنجيل الواحد أربعة أناجيل يجعلونها في مقدمة كتابهم العهد الجديد ، ولاينسبون أيًا منها إلى المسيح عليه السلام وإنما هي منسوبة إلى متى ومرقص ولوقا ويوحنا ـ الذي يزعم النَّصارى أَنَّ اثنين منهم من الحواريِّين وهما : « **متَّى ويوحنا** » .

والآخران :

أحدهما : « **مرقص** » تلميذ بطرس .

والآخر : « **لوقا** » تلميذ بولس في زعمهم .

وهذه الأَناجيل تحوي شيئًا من تاريخ عيسى عليه السَّلام حيث ذكر فيها ولادته ثم تنقُّلاته في الدَّعوة ثم نهايته بصلبه وقيامته في زعمهم ، ثم صعوده إلى السَّماء .

كما تحتوي على مواعظ منسوبة إليه وخطب ومجادلات مع اليهود ومعجزات كان يظهرها للنَّاس ؛ دليلًا على صدقه في أنَّه مُرسَلٌ من اللَّه فهذه الأناجيل أشبه ما تكون بكتب السِّيرة ، إلَّا أنَّ بينها اختلافات ليست قليلة ، وبعضها اختلافات جوهريَّة لا يمكن التَّوفيق بينها إلَّا بالتعسُّف ـ كما سيتبيَّن .

والقارئ لهذه الأناجيل الأربعة ؛ يستطيع بسهولة أن يُدرِكَ أنَّ ما ورد فيها من دعوة وخطب ومواعظ ومجادلات ؛ تعود إلى مطلبين أساسيَّين ، هما :

١ـ الدَّعوة إلى التَّوبة والعمل بما جاء في الشَّريعة الَّتي أنزلت على موسى عليه السَّلام .

٢ ـ التَّبشير بقرب قيام مملكة اللَّه الَّتي يتحقَّق فيها العدل والمساواة[١] .

(١) انظر : المسيحية نشأتها وتطورها . شارل جنيبر ص ٤٩ ، النَّصرانية والإسلام محمد عزت الطهطاوي ص ١٤ .

أولا : تأريخ الأناجيل الأربعة إجمالًا

قبل الحديث عن تاريخ الأناجيل الأربعة لدى النَّصارى لابُدَّ من بيان أنَّ الكتب الدينية لها مكانة عظيمة لدى أتباعها ، ولها دور خطير في هذه الحياة إذ يعتمد عليها في توضيح الطَّريق إلى سعادة الدُّنيا وفوز الآخرة . فلهذا يجب أن تكون الكتب ثابتة الإسناد إلى أصحابها الَّذين هم رسل اللَّه والمبلِّغون عن الله عزَّ وجَلَّ ، فإذا لم تكن كذلك فإنَّها تفقد قيمتها ، إذ تكون عرضة للتَّحريف والتَّبديل من قبل أصحاب الأهواء والمقاصد الخبيثة ، أو من قبل العوارض البشريَّة كالنِّسيان وقلَّة العلم والوهم ونحو ذلك .

فصحَّةُ الإسناد بعدالة رواة الأخبار وضبطهم وعدم انقطاعه هو السَّبيل الَّذي يمكن به وصول هذه الكتب إلى النَّاس سليمة صحيحة كاملة ، فيتعرف النَّاس على الحقِّ من خلالها .

وإذا نظرنا في كتب الحديث عند أهل الإسلام والتي تتضمن أقوال نبينا محمد ﷺ وأفعاله وتقريراته وجميع ما يتعلق به ، عرفنا الجهد العظيم الَّذي بذله أولئك الأئمة في المحافظة على حديث رسول اللَّه ﷺ سليمًا صحيحًا حيث يستطيع المسلم في القرن الخامس عشر الهجري أن يعرف صحة الحديث من عدمه .

وإذا بحثنا في التَّاريخ لدى النَّصارى عن إسناد لهذه الأناجيل إلى من تُنسَبُ إليه لا نجد من ذلك شيئًا البتَّة لا قليلًا ولا كثيرًا . ورسائل بولس ، وكذلك الرسائل الأخرى ، وأعمال الرسل ، ليس في شيء منها إشارة إلى واحد من هذه الكتب الأربعة ، الأمر الذي يترتب عليه أنَّ هذه الكتبَ لم تكن معروفة

في ذلك الزَّمن ولم يطلع عليها أحد منهم ، وفي هذا دلالة قويَّة على أنَّ نشأة هذه الكتب وظهورها كان متأخِّرًا عن هذه الرسائل ، بخلاف إنجيل اللَّه أو إنجيل المسيح فقد ورد ذكره في كلام بولس مرارًا عديدة كما ورد ذكره في إنجيل مرقص ، وأعمال الرُّسل مما يدلُّ على وجوده وأنَّه معروف معلوم(١) .

وقد حاول النَّصارى أن يجدوا لهذه الكتب إسنادًا أو إخبارًا عنها في كلام متقدميهم يتَّفق مع الزَّمن الَّذي يزعمون أنَّها كُتِبَتْ فيه ، وهو الرُّبع الأخير من القرن الأول الميلاديِّ على أكثر تقدير . إلَّا أنَّ هذه المحاولات باءت بالفشل الذَّريع ، ممَّا اضطرهم إلى الاعتراف بأنَّ هذه الكتب لم تُعرَفْ إلَّا بعد موت من تُنسَبُ إليه بعشرات السِّنين ، فتكون نسبتها إلى أولئك النَّاس نسبة لا تَقُومُ على أدنى دليل وإليك بعض كلام النَّصارى في هذا الأمر :

يقول القس فهيم عزيز الأستاذ بكليَّة اللاهوت الإنجيليَّة : « لكن قانونية(٢) أَسْفار العهد الجديد لم تتمّ في وقت واحد ولم يكفها جيل أو جيلان بل استمرَّت مدَّة طويلة ، ولم تقف الكنائس المختلفة موقفًا موحَّدًا من الأسفار المختلفة ، بل اختلفت آراؤها من جهة بعض الأسفار واستمرَّت في ذلك حقبة طويلة ، فلهذا يلزم تتبُّع هذا التَّاريخ الطَّويل لقانونيَّة أسفار العهد الجديد .

الكنيسة الأولى : يوم الخمسين(٣) ـ ١٠٠ م :

من المعلوم جيِّدًا أنَّه لم تكن في تلك الفترة كتب مقدَّسة تُسَمَّى العهد

(١) سبق ذكر ذلك ص ١٩٧ .

(٢) ذكر الدكتور القس فهيم عزيز أنَّ المراد بكلمة « القانون » هو الكتاب الَّذي اعترفت به الكنيسة ، فقانونية العهد الجديد أي اعتراف الكنيسة بالعهد الجديد .

(٣) يوم الخمسين : هو من الأَعياد اليهوديَّة ويزعم النَّصارى أنَّ الرُّوح القدس بعد رفع المسيح حلَّ =

الجديد[١]، ولكنَّ الكنيسةَ لم تمكث بدون مصادر إلهيَّة تستند عليها في كُلِّ شيءٍ من وعظ وتعاليم وسلوك ومعاملات ، وقد كان لها في هذا المجال ثلاثة مصادر » .

ثم ذكر أنَّ المصادر الثَّلاثة هي : العهد القديم ، المسيح ، الرّسل ، ثم قال :

« **ثانيًا : ١٠٠ ـ ١٧٠ م ظهور الكتب القانونيَّة في العهد الجديد :**

كانت أوَّل مجموعة عرفتها الكنيسة من العهد الجديد هي مجموعة رسائل بولس . فهي أوَّل ما جمع من كُلِّ كتب العهد الجديد[٢] ، ولقد كتب بولس رسائله إلى كنائس وأفراد لظروف خاصَّة ومواقف محددة ... »

ثم قال : « ...أمَّا المجموعة الثَّانية : فهي مجموعة الأناجيل الأربعة ، وقد ظهرت هذه المجموعة متأخِّرة بعض الوقت عن مجموعة كتابات بولس .

ومع أنَّ تاريخ اعتبارها كتبًا قانونيَّة مقدَّسة متساوية في ذلك مع كتب العهد القديم لا يزال مجهولاً[٣] ، لكن الاقتباسات العديدة الَّتي وجدت في كتابات آباء الكنيسة الرّسوليين وشهاداتهم تُلقِي بعض الضَّوء على هذه الحقيقة الجوهريَّة في العصر المسيحيِّ ويلاحظ الدَّارِسُ الأمور الآتية :

= على الحواريِّين في يوم الخمسين فتكلَّموا بلغات كثيرة ـ ويتَّخذ النَّصارى ذلك اليوم عيدًا ويُسمُّونه عيد العنصرة . انظر : قاموس الكتاب المقدَّس ص ٣٥٠ .

(١) مراده أنه إلى نهاية عام ١٠٠ م ليس هناك ما يُعرَفُ بالعهد الجديد ، أي أنَّ الأناجيل والكتب الأخرى غير معروفة في ذلك الزَّمن ، وإنما كتبت ودونت بعد ذلك .

(٢) إن انتشار رسائل بولس وتداولها قبل الأناجيل له معنى خطير ، وهو أنه أملي على الناس ما يعتقدون من خلال رسائله ، فتكون الأناجيل كتبت بعد أن تشبع أصحابها بالعقيدة البولسية .

(٣) يقصد أنه لايعرف متى صارت هذه الأناجيل والرسائل مقدسة لدى النصارى .

١ ـ أنَّ بولس لم يشر في كتاباته إلى أيٍّ من الأناجيل المكتوبة ولا إلى أيِّ كتاب عن حياة المسيح أو أقواله ... »[١] .

ثم ذكر المصنِّفُ سبع نقاط أورد في بعضها اقتباسات لمتقدِّمين من النَّصارى تتوافق في بعضها مع ما ورد في بعض الأناجيل بدون النَّصِّ على اسم الإنجيل[٢] .

وأهم ما ذكره من الملاحظات : هي قوله في « **الملاحظتين السَّابعة والثَّامنة** » :

« **٧ـ أمَّا جاستن أو يوستينوس الشَّهيد[٣] الَّذي كان سامريًّا يونانيًّا وتحوَّل إلى المسيحيَّة ودرس في روما واستشهد حوالي ١٦٥ م فيؤخَذ من كتاباته أنَّه قد عرف الأناجيل الأربعة مرتبطة معًا ، مع أنَّه لم يكشف النِّقاب عمَّن جمعها ولا في أيِّ مكان جمعت ، وهو يصفها عندما يذكرها في دفاعه ضدّ الوثنيِّين بأنَّها الذِّكريات ، ولكنَّه عندما كان يكتب للمسيحيِّين كان يقول عن الرُّسل[٤]: « هم أولئك الَّذين كتبوا ذكرياتهم عن كُلِّ الأَشياء**

---

(١) سبق بيان أن بولس ذكر مرارًا إنجيل الله كما سبق التعليق على نحو كلام القسيس هنا انظر ص ١٩٧ـ ١٩٨ .

(٢) مراده بالاقتباسات هنا : ورود بعض العبارات في كتب المتقدمين تتفق مع ما يُوجَدُ في الأناجيل ، إلَّا أنَّ هذا ليس دليلًا على وجود تلك الأناجيل في تلك الفترة واطلاع أولئك الكتاب الَّذين اقتبسوا تلك الجمل والعبارات عليها إلَّا باحتمال ضعيف ، والاحتمال الأقوى هو أنَّ الجميع كانوا يأخذون من مصدر واحد كان متوفِّرًا ومبثوثًا في كتب عديدة أو أنَّ الرِّوايات الشَّفويّة كانت منتشرة يحفظ هذا منها قليلًا وذاك منها قليلًا ، وهذا أمر آخر غير ما يُدّعَى في الأناجيل .

(٣) سيأتي التعريف به في عوامل تحريف رسالة المسيح عليه السلام .

(٤) يُلاحَظُ هنا : أن النَّصارى يستخدمون كلمة الرُّسل يعبِّرون بها عن دعاة النَّصارى الأوائل باعتبا أنَّهم رسل ربهم المسيح أو رسل الرُّوح القدس .

الَّتي تختصُّ بيسوع المسيح المخلِّص » . ثُمَّ يقول مرَّة أخرى : « الذِّكريات[١] الَّتي عملها الرُّسل الَّتي تُسمَّى الأناجيل »[٢] .

٨ ـ أَمَّا الشَّاهد الأخير فهو « الديا طسرن » الَّذي كتبه « تاتيان »[٣]، وأراد أن يجمع فيه الأناجيل الأربعة معًا ، في إنجيل واحد ، وقد أَضاف تاتيان هذا بضعة كلمات للمسيح لا تُوجَد في هذه الأناجيل ، ولكنَّها أُخِذَت من كتب أبو كريفية[٤] أخرى ، وهو بذلك يشهد أنَّ الأَربعة الأناجيل وُجِدَتْ معًا ، ولكن إضافاته مجرَّد اقتباسات لا تدلُّ على أنَّه كان يعتبر أنَّ هناك كتبًا أخرى تضارعها في سلطانها وقداستها »[٥] .[٦]

وبعد هذا النقل عن أحد القسس المتعمِّقين والمتخصِّصين في دراسات العهد الجديد ، ننقل كلام مجموعة من المتخصِّصين النَّصارى عن أناجيلهم وذلك

---

(١) قوله هنا « الذكريات » لها دلالة واضحة في أن ماكتب كان قد مضى عليه زمنًا طويلًا ، فاحتمال النسيان والخطأ وعدم الدقة في نقل الالفاظ والأحداث ، إلى غير ذلك وارد فيها مما لايجعلها أهلًا أن تكون كتبًا مقدسه يهتدى بكل تشريع فيها ويصدق كل حدث ورد بها .

(٢) هذه الشَّهادة لا قيمة لها لأنَّ جاستن لم ينصّ على اسم واحد من الأناجيل الأربعة ، كما أنَّ الفترة الَّتي يتحدَّث عنها الكاتب كان فيها لدى النَّصارى عشرات الأناجيل الَّتي تُنسَبُ إلى من يزعم النصارى أنهم تلاميذ المسيح ، وقد رفضها النصارى فيما بعد عدا الأناجيل الأربعة فإذًا احتمال أنَّه يشير إلى غير هذه الأربعة المعروفة احتمال قويٌّ .

(٣) سيأتي التعريف به في فصل عوامل انحراف النصرانية .

(٤) أبوكريفية : أي غير قانونيّة ولا معترف بها . انظر : قاموس الكتاب المقدَّس ص ١٨ .

(٥) تناقض القسيس في كلامه هنا فهو من قبلُ زعم أنَّه لا يعرف تاريخ اعتبار الأناجيل الأربعة قانونية ومقدسة ، وهو هنا يزعم أنَّ تاتيان كان يرى قداسة الأناجيل الأَربعة وأنَّ غيرها لا يضارعها في ذلك . وهذا تناقض واضح .

(٦) المدخل إلى العهد الجديد ، دار الثَّقافة المسيحيَّة . مطبعة دار الجيل مصر . ص ١٤٦ ـ ١٥٢ .

في المدخل إلى العهد الجديد[١] قالوا في التَّعريف بتاريخ وقانونيَّة العهد الجديد ما يلي : « لقد سيطرت على المسيحيين الأوائل فكرة ، تناقلتها الألسن شفاهًا ـ تعلن انتهاء هذا العالم سريعًا وعودة المسيح ثانية إلى الأرض ليدين الناس ، وكان من بين نتائج هذا المعتقد أن توقف التفكير في تأليف كتابات مسيحية تسجل أخبار المسيح وتعاليمه ، فتأخر لذلك تأليف الأناجيل ، إذ لم يشرع في تأليف أقدمها ـ وهو إنجيل مرقس الذي لم يكن قط من تلاميذ المسيح ـ إلا بعد بضع عشرات من السنين ، لقد كانوا يؤمنون بنهاية العالم وعودة المسيح سريعًا إلى الأرض : قبل أن يكمل رسله التبشير في مدن إسرائيل وهي عملية لاتستغرق أكثر من عدة أشهر أو بضع سنين على أكثر تقدير ..... » . **الحق أقول لكم : لاتكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان** (متى ١٠/٢٣) .

ـ وقبل أن يموت عدد من الذين وقفوا أمامه يستمعون إلى تعاليمه ومواعظه . وهي فترة يمكن تقديرها دون خطأ يذكر في حدود خمسين عامًا على أقصى تقدير :

« **الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوم لايذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيًا في ملكوته** » **متى (١٦/٢٨)** .

ـ وهو يعود ثانية إلى الأرض قبل أن يفنى ذلك الجيل الذي عاصر المسيح وهي فترة لاتتجاوز أقصى ماقدرناه ، أي خمسين عامًا :

---

(١) هذا ليس هو الكتاب السابق وانما هو توافق في المسمى ، والمراد بـ « المدخل إلى العهدالجديد » هنا هو المقدمه التي يجعلها النصارى في بعض الأحيان مقدمة لكتابهم المقدس للتعريف به ، وهذه المعلومات مأخوذة من مدخل إلى العهد الجديد للكاثوليك وعنوانه « العهد الجديد » منشورات دار المشرق ـ بيروت ١٩٨٥ـ الطبعة العاشره اعتماد : « بولس باسيم » النائب الرسولي للاتين « وقد نقلت النص بواسطه من الكتاب القيم « اختلافات في تراجم الكتاب المقدس » لأحمد عبد الوهاب وذلك لعدم تمكني من الحصول على طبعة الكتاب المقدس التي تحتوي على تلك المعلومات .

..... « الحق اقول لكم لايمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله » متى (٢٤/٢٤) .

ومعلوم أن ذلك كله لم يحدث ، إذ لايزال الكون قائمًا ، وبنو آدم يعيشون في عالمهم الدنيوي حتى يأتي أمر الله ، هذا ــ ولما بردت الحمية التي أثارتها فكرة عودة المسيح سريعًا إلى الأرض ، ظهرت الحاجة ماسة إلى تدوين الذكريات عنه وعن تعاليمه ، ومن هنا كانت النواة لتأليف أسفار ــ ماصار يعرف فيما بعد باسم ــ العهد الجديد ، وهي الأسفار التي لم يعترف بشرعيتها إلا على مراحل وعلى إمتداد أكثر من ثلاثة قرون .

« إن كلمة « قانون » اليونانية مثل كلمة « قاعدة » في العربيَّة قابلة لمعنى مجازيٍّ يُرَادُ به قاعدة للسُّلوك أو قاعدة للإيمان .

وقد استُعمِلَتْ هنا للدَّلالة على جدول رسميٍّ للأسفار الَّتي تعدها الكنيسة ملزمة للحياة وللإيمان .

ولم تندرج هذه الكلمة بهذا المعنى في الأدب المسيحيِّ إلَّا منذ القرن الرَّابع[1] ، كانت السلطة العليا في أمور الدِّين تتمثَّل عند مسيحي الجيل الأول في مرجعين :

أولهما : العهد القديم ، وكان الكتبة المسيحيُّون الأولون يستشهدون بجميع أَجزائه على وجه التَّقريب استشهادهم بوحي اللَّه .

وأمَّا المرجع الآخر الَّذي نما نموًا سريعًا ، فقد أَجمعوا على تسميته : أقوال الرّبّ[1] ! ولكن العهد القديم كان يتألَّف وحده من نصوص مكتوبة ، وأمَّا أقوال الرَّبِّ

(١) أي أنَّ الأناجيل الأربعة لم يعترف بها إلَّا في القرن الرَّابع الميلادي

وما كان يبشِّر به الرُّسل ، فقد تناقلتها أَلْسِنَةُ الحفَّاظِ[٢] مدَّة طويلة ، ولم يشعر المسيحيون الأولون إلَّا بعد وفاة آخر الرُّسل بضرورة[٣] كُلّ من : تدوين أهم ما علَّمه الرسل ، وتولِّي حفظ ما كتبوه[٤] .

ويبدو أنَّ المسيحيين حتَّى ما يقرب من السنة ١٥٠ م ، تدرَّجوا من حيث لم يشعروا بالأمر إلَّا قليلًا جدًا إلى الشُّروع في إنشاء مجموعة جديدة من الأَسفار المقدَّسة ، وأغلب الظَّنِّ أنَّهم جمعوا في بدءِ أمرهم رسائل بولس واستعملوها في حياتهم الكنسيَّة ، ولم تكن غايتهم قط أن يؤلِّفوا ملحقًا بالكتاب المقدس بل كانوا يَدَعُون الأَحداث توجِّههم ، فقد كانت الوثائق البولسية مكتوبة في حين أن التقليد الإنجيليَّ كان لا يزال في معظمه متناقلًا على أَلسِنَةِ الحفَّاظِ .

ولا يظهر شأن الأناجيل طوال هذه المدَّة ظهورًا واضحا كما يظهر شأن سائل بولس[٥] .

أجل لم تخل مؤلَّفات الكتبة المسيحيين الأقدمين من شواهد مأخوذة من الأَناجيل أو تلمح إليها ، ولكنَّه يكاد أن يكون من العسير في كُلِّ مرَّة الجزم :

---

(١) مرادهم بالرب هنا هو المسيح عليه السَّلام ، والمقصود أقواله المأثورة عنه .

(٢) قولهم الحفاظ هنا كلمة فيها تجوُّز شديد يتبين هذا من خلال النظر فيما دُوِّن وأنه مليء بالأخطاء والاختلافات ، كما أنه لايعرف في تاريخ النصارى الأوائل تدارس تلك الروايات المنقولة عن المسيح والاجتهاد في حفظها على الوجه الذي يكون مقبولًا ويحق معه إطلاق صفة الحفاظ عليهم

(٣) هذا فيه اعتراف واضح بأن أيًا من أتباع المسيح المباشرين لم يكتب إنجيلًا ولم يمله على تلاميذه .

(٤) ليس هناك في الواقع أي دليل يثبت أن تلاميذ المسيح المباشرين كتبوا شيئًا من الأناجيل الموجودة بين يدي النصارى اليوم .

(٥) هذا فيه دلالة على أن الأناجيل لم تكتب إلا بعد رسائل بولس ، لأنها لو كانت موجودة لما أمكن أن يعرض الناس عنها ويهملونها ، وهي الأصل ، ويهتموا برسائل بولس .

هل الشَّواهد مأخوذة من نصوص مكتوبة كانت بين أيدي هؤلاء الكتبة ، أم هل اكتفوا باستذكار أجزاء من التَّقليد الشَّفهيِّ ؟

ومهما يكن من أمر ، فليس هناك قبل السنة ١٤٠ م أي شهادة تُثبِتُ أنَّ النَّاس عرفوا مجموعة من النُّصوص الإنجيليَّة المكتوبة ، ولا يذكر أنَّ لمؤلَّف من تلك المؤلَّفات صفة ما يلزم ، فلم يظهر إلَّا في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّاني شهادات ازدادت وضوحًا على مرِّ الزَّمن بأن هناك مجموعة من الأناجيل وأنَّ بها صفة ما يلزم ، وقد جرى الاعتراف بتلك الصِّفة على نحو تدريجيٍّ .

فيمكن القول إنَّ الأَناجيل الأَربعة حظيت نحو السنة ١٧٠ م بمقام الأدب القانوني وإن لم تُستَعْمَل تلك اللفظة حتَّى ذلك الحين .

لم يوضع (لم يستقر) الجدول التَّام للمؤلّفات العائدة إلى القانون إلَّا على نحو تدريجيٍّ وكلَّما تحقَّق شيءٌ من الاتِّفاق . فهكذا يجدر بالذّكر ما جرى بين السنة ١٥٠ م والسنة ٢٠٠ م إذ حدد على نحو تدرجيٍّ أنَّ سِفْر أعمال الرُّسل مؤلَّفٌ قانوني ، وقد حصل شيء من الإجماع على رسالة يوحنا الأولى .

ولكن ما زال هناك شيء من التَّردُّد في بعض الأمور : فإلى جانب مؤلَّفات فيها من الوضوح الباطني[1] ما جعل الكنيسة تتقبَّلها تَقَبُّلها لما لابُدَّ منه ، هناك عدد كبير من المؤلَّفات الحائرة يذكرها بعض الآباء ذكرهم لأسفار قانونيَّة ، في حين أنَّ غيرهم ينظر إليها نظرته إلى مطالعة مفيدة ذلك شأن : الرِّسالة إلى العبرانيِّين ، ورسالة بطرس الثَّانية ، وكُلٌّ من رسالة يعقوب ويهوذا .

---

(١) يعني أن الكنيسة لديها قناعة داخلية بقبولها ، لكن بدون أن يكون لديهم أي برهان يمكن أن يعتمد عليه في الصحة ، أو دليلاً يمكن تقديمة لمن أراد دليلاً على الصحة .

وهناك أيضًا مؤلَّفات جرت العادة أن يُستَشهَدَ بها في ذلك الوقت على أَنَّها من الكتاب المقدَّس ، ومن ثَمَّ جزء من القانون ، لم تبق زمنًا على تلك الحال بل أُخرِجَتْ آخر الأمر من القانون ، ذلك ما جرى لمؤلَّف : هرماس ، وعنوانه الرَّاعي ، وللدّيداكي ورسالة إكليمنضس الأولى ، ورسالة برنابا ، ورؤيا بطرس وكانت الرِّسالة إلى العبرانيِّين ، والرؤيا ، موضوع أشدِّ المنازعات ، وقد أُنكِرَتْ صحَّةُ نسبتها إلى الرُّسل إِنكارًا شديدًا مدَّة طويلة .

ولم تقبل من جهة أخرى إلَّا ببطء : رسالتا يوحنا الثَّانية والثَّالثة ورسالة بطرس الثَّانية ، ورسالة يهوذا .

ولا حاجة إلى أن نتتبَّع تتبعًا مفصّلًا جميع مراحل هذا التَّطور الَّذي أدَّى خلال القرن الرَّابع إلى تأليف قانون هو في مجمله القانون الَّذي نعرفه اليوم »[1].

من خلال هذا البيان والنَّقل المطوَّل عن النَّصارى أَنفسهم في حديثهم عن كتبهم يتلخَّص لنا ما يلي :

١ ـ أنَّ اللَّه أَنزل كتابًا على المسيح سمَّاه الإنجيل ، ودعا المسيح عليه السَّلام النَّاس إلى الإِيمان به وذكره أوائل النصارى ، كما ذكره بولس في رسائله .

٢ ـ أنَّ النَّصارى لا يعرفون شيئًا عن مصير ذلك الإِنجيل ، ولا أين ذهب !!

٣ ـ أنه كانت هناك روايات شفويَّة ووثيقة مشتركة متداولة كان يتناقلها الحواريُّون ودُعَاة النَّصارى الأوائل ويُعتَقَدُ أنَّها كانت المصدر الأَساسيَّ لأوجه

---

(١) نقلًا عن كتاب « اختلافات في تراجم الكتاب المقدس » أحمد عبد الوهاب ص٧٦ـ٨١ .الناشر مكتبة وهبه ـ الطبعه الاولى ١٤٠٧هـ . وانظر في تأييد المعلومات الواردة هنا كتاب « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم » لموريس بوكاي من ص٩٨ـ١٠٣ .

الاتِّفاق بين الأَناجيل[١] .

وأرى أنَّ تلك الرِّوايات الشفوية لا يبعد أن يكون الإنجيل الأصليُّ من ضمنها إلَّا أنَّ النصارى لم يدوِّنوه مجموعة واحدة ، كما أنَّهم لم يميِّزوه عن غيره من الرِّوايات ، ممَّا جعله غير محدد ولا يستطيع أحد الجزم والاعتقاد بشيء من النُّصوص أنَّها منه .

وهذا تصديق قول اللَّه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ [المائدة : ١٤] .

٤ـ أنَّ المتقدِّمين من النَّصاري لم يشيروا إلى الأناجيل الأربعة ولم يذكروها البتة ، فبولس ــ على كثرة رسائله ــ لم يذكرها في رسائله أبدًا ، وكذلك لم يذكرها سِفْر أَعمال الرسل الَّذي ذكر دعاة النَّصاري الأَوائل ، وهذا يدلُّ على أنَّ هذه الكتب لم تكن موجودة في ذلك الزَّمن وأنَّها أُلِّفَتْ وكُتِبَتْ بعد ذلك .

٥ـ أنَّ أوَّل من ذكر مجموعة من الكتب المدوَّنة ذكرًا صريحا هو جاستن الَّذي قتل عام ١٦٥ م . وهذا لا يدلُّ صراحة على الأناجيل الأَربعة نفسها ، وأما أوَّل محاولة للتَّعريف بها ونشرها فكانت عن طريق « تاتيان » الَّذي جمع الأناجيل الأربعة في كتاب واحد سمَّاه (الدياطسرن) في الفترة من (١٦٦ ـ ١٧٠) م وهذا هو التَّاريخ الَّذي يمكن أن يُعزَى إليه وجود هذه الكتب ، وهو تاريخ متأخِّر جدًا عن وفاة من تُعزَى إليهم هذه الكتُب إذ أنهم جميعًا ماتوا قبل نهاية القرن الأول ممَّا يدلُّ على أنَّهُم بُرءَاءُ منها وأنَّها منحولةٌ إليهم .

٦ـ أنَّه حتَّى بعد هذا التَّاريخ وهو ١٧٠ م إلى القرن الرابع الميلادي لم تكن

(١) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص٩٤ـ٩٥،٩٨

الأناجيل الأربعة وحدها هي الموجودة ، بل كان هناك أناجيل كثيرة موجودة منتشرة ربما تبلغ مائة إنجيل[١] ولم يكن لأيٍّ منها صفة الإلزام والقداسة وذلك أمر تكون الأناجيل الأربعة معه عرضة للتحريف والتغيير خلال تلك الفترة أيضًا .

٧ ـ أنَّ النَّصارى لا يعرفون بالضَّبط تاريخ إعطاء هذه الكتب صفة الإلزام والقداسة ، وإنَّما يرون أنَّه خلال القرن الرَّابع الميلادي أخذت كتبهم صفة القداسة بشكل متدرِّج يعني رويدًا رويدًا .

٨ ـ أنَّ النَّصارى لا يملكون السَّند لكتبهم ولا يعرفون مصدرها الحقيقيَّ ولا تعدو أن تكون كتبًا وجدوها منحولة إلى أولئك النَّاس الَّذين نُسِبَتْ إليهم فنسبوها إليهم ، واعتقدوا صحة ذلك بدون دليل ، وهذا أمر لا يمكن أن يُعطِي النَّفس البشريَّة القَنَاعة المناسبة لما تُرَادُ له هذه الكتب في الأصل من تجنُّبِ سخط اللَّه وبلوغ رضوانه .

٩ ـ أنَّنا نعجب غاية العجب من زعم النَّصارى : أنَّ هذه الكتب حقيقيَّة وصادقة وتنقلُ بأمانةٍ وإخلاص كلامَ المسيح وتروي أخباره[٢]كيف تجرَّءوا عَلَى مثل هذا الكلام ، وكيف قبله أتباعهم مع أنَّهم لا يملكون الدَّليل على ذلك وكُلُّ دعوى عَرِيت عن الدَّليل فهي باطلةٌ .

(١) انظر القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ٩٩ .

(٢) يقول النَّصارى في المجمع المسكوني الثَّاني للفاتيكان المنعقد في الفترة من ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ م عن العهد الجديد . « وآمنت أمنًا الكنيسة المقدَّسة وتؤمن بكُلِّ قوَّة وثبات أنَّ الأناجيل الأربعة المذكورة تنقل إلينا بكُلِّ أمانة ما صنعه حقًا يسوع ابن اللَّه من أعمال وما أعلنه من تعاليم أثناء حياته بين البشر إلى يوم صعوده إلى السَّماء » . الطبعة الثَّانية ١٩٧٩ م لوثائق المجمع ص ٤١٣ . وانظر أيضًا القرآن الكريم والتَّوراة والإنجيل والعلم لموريس بوكاي ص ٧٨ حيث نقل النص المذكور .

قال الله عزَّ وجَلَّ : ﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

وكلُّ من تحدث في دين اللَّه بلا علم فهو ضالٌّ مضلٌّ .

قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴾ [الحج : ٣] .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ * ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٨ ، ٩] .

ولأن دعاويهم عارية عن الدليل فهي نابعة من الهوى ، فلهذا سمى اللَّه عزَّ وجلَّ ماعند اليهود والنصارى من دين أهواءً ، في قوله عزَّ وجلَّ لنبيه محمّد ﷺ : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

ولكن ذلك العجب يذهب وتلك الدَّهشة تزول إذا علمنا أنَّ للآباء والكبراء والسَّادة من أهل الضلالة الَّذين يسعون إلى المحافظة على مكاسبهم الدُّنيويَّة الدور الأكبر في إضلال العوام والدهماء الَّذين لا يستخدمون ما وهبهم اللَّه من عقل وسمع وإدراك وإنما يتابعون وينقادون انقياد الأعمى ، وفي هذا يقول اللَّه عزَّ وجَلَّ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة : ١٠٤] .

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ * وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ * رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٦٥ ـ ٦٨] .

والواجب على الإنسان أن لايخضع للتقليد فيما تتعلق به نجاته وسعادته أو هلاكه وشقاوته بل يتحقق من الأمر ويتأكد من صحته ويسأل الله الهداية والتسديد والرشد إلى أن يصل إلى الحق والنور الذي لن يخطئه بإذن الله تعالى إذا أخلص الطلب واجتهد في الدعاء وتحرر من الأهواء والتقليد والعصبية .

ثانيا : تاريخ الأناجيل الأَربعة تفصيلًا

سبق الحديث عن الأَناجيل الأَربعة من ناحية السند إِجمالًا بقي أن نبيِّن هنا ما يتعلَّق بِكُلِّ إنجيل منها منفردا :

أولًا : إنجيل متى

يصدر النصارى كتابهم المقدس بهذا الإنجيل ، فهو أوَّل كتبهم في الترتيب ، وهو أطولها إذ يحوي ثمانيةً وعشرين إصحاحًا .

ويزعم النَّصارى أنَّ « متَّى » الَّذي يُنسَبُ الكتاب إليه هو أحد الحواريِّين وكان قبل اتباعه للمسيح عشارًا « جابي ضرائب » .

إلَّا أنَّ النَّصارى لم يستطيعوا أن يبرزوا لنا دليلا يعتمد عليه في صحة نسبة هذا الكتاب إلى « متَّى » ، وأقدم من يعتمدون على قوله في نسبة الكتاب إلى « متَّى » أحد كتابهم ، ويُسَمَّى « يوسابيوس القيصري » في كتابه « تاريخ الكنيسة » حيث نقل عن أسقف كان لهيرا بوليس سنة (١٣٠ م) يدعى « بابياس » أنَّه قال : « **إنَّ متَّى كتب الأقوال باللغة العبرانيَّة** »[(١)] .

وهذا القول ولدى جميع العقلاء لا يمكن أن يُعتَمَدَ عليه في إِثبات صحَّة نسبة الكتاب إلى « متَّى » الذي يزعمون أنه حواري .

وذلك لأنَّ « بابياس » المذكور هنا لم يكن سَمِعَ تلك التَّعاليم وتِلكَ الكُتُب من أصحابها بل كان يسمعها بواسطة .

☚ حيث يقول عن نفسه فيما ذكرَ عنه « يوسابيوس » : « **وكُلَّما أتى**

(١) انظر : تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ١٧٨ ، كتاب تاريخ الكنيسة لجون لوريمر (١ / ١٥٢) ، وكتاب المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٣ .

واحدٌ ممَّن كان يتَّبع المشايخ سألته عن أقوالهم لأنَّني لا أعتقد أنَّ ما تحصل عليه من الكتب يفيد بقدر ما يَصِلُ من الصَّوتِ الحيِّ »[١] .

فهو هنا لا يتحرَّى في النَّقل ، وممَّا لا شَكَّ فيه أنَّ أولئك الوسائط لابُدَّ أن تَثبُتَ عدالتهم وإلَّا فلا يُعتدُّ بما يروونه ويقولونه .

☚ كما أنَّ يوسابيوس القيصري قد طعن في « بابياس » نفسه حيث قال عن رواياته : « **ويُدَوِّنُ نفسُ الكاتِبِ رواياتٍ أُخرَى يقول إنَّها وصلته من التَّقليدِ غير المكتوب ، وأمثالاً وتعاليم غريبة للمخلِّص وأمورًا خرافيَّةً .. »** .

☚ ثم قال عنه وعن آرائه : « **وأَظُنُّ أنَّه وصل إلى هذه الآراء بسبب إساءة فهمه للكتابات الرَّسُوليَّة ، غير مدرك أنَّ أقوالهم كانت مَجَازِيَّةً ، إذ يبدو أنَّه كان محدود الإدراك جدًّا كما يتبيَّنُ من أبحاثه وإليه يرجع السَّبَبُ في أنَّ كثيرين من آباء الكنيسة من بعده اعتنقوا نفس الآراء مستندين في ذلك على أقدميَّةِ الزَّمَنِ الَّذي عاش فيه »**[٢] .

فهذه طريقة « بابياس » في النَّقل حيث ينقل عن كُلِّ من اتبع المشايخ بدون تحرٍّ لمقدرةِ التِّلميذ على الحفظ والضَّبط للرِّوايات والعدالة ومَا إِلَى ذلك من شُروطِ صحَّة الخبر ، كما أنَّ بابياس نفسَه ضعيفُ التَّمييز بين الأقوال محدود الإدراك جدًّا .

فكيف تعتبر أقوال من هذه حاله في أخطر قضيَّة ، وهي الشَّهادةُ لكتاب بأنه كَلَامُ ربِّ العالمين ؟

---

(١) تاريخ الكنيسة ـ يوسابيوس القيصري ص ١٧٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٧ .

كما أنَّ في المقابل هناك عدَّةُ أدلَّةٍ تدلُّ على عدم صحَّةِ نسبة الإنجيل إِلَى « متَّى » الذي يزعمون أنه حواري ، وهي :

١ـ أنَّ النَّصارى لم ينقلوا الإنجيل بالسَّند وقول بابياس السَّابق لم يعيّن فيه من هو متَّى هل هو الحواريُّ أم رجل آخر ؟ كما أنَّه لم يعين الكتاب .

بل قال : « **الأقوال** » .

وأيضًا فقد ذكر أَمرًا آخر ، يختلف تمامًا عمَّا عليه إنجيل متَّى الموجود ، وهو أنَّه قال إنه كتبه باللغة العبرانيَّة ، مع أنَّ النَّصارى يُجمِعُونَ على أنَّ الكتاب لم يعرفوه إلا باللغة اليونانيَّةِ ولا يعرفون للكتاب نُسخَةً عبرانيَّة ، بل الكثير منهم يَرَى أنَّ الكتاب يظهر من لغته أنَّه أوَّلُ ما كتب إنَّما كُتِبَ باللغة اليونانيَّة وليس العبرانية[١] فهذا يدلُّ على أنَّ قول بابياس ، لا ينطبق على إنجيل متَّى الموجود بين يدي النَّصارى .

كما أنَّ هناك استفسَارًا آخر في حالة أن يكون الإنجيل مترجمًا من اللغة العبرانيَّة إلى اللغة اليونانيَّة ، وهو : من هو مترجمه ؟ وهذا أمرٌ مهمٌّ ، لأنَّه ما لم يعلم دين المترجم ، وصدقه ، وضبطه ، وقوَّة معرفته باللغتين لا يمكن أن يُعتَمَد على ترجمته .

٢ـ أَنَّ الدَّارسين لهذا الكتاب والباحثين من النَّصارى وغيرهم يَرَون أنَّ كاتب هذا الإنجيل اعتمد كثيرًا على إنجيل مرقص[٢] ، ومرقص في كلام النَّصارى تلميذ بطرس ، فهل من المعقول أن يعتمد أحد كبار الحواريِّين في زعمهم على

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٣ .

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٤٣ ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص ٨٢ .

تلميذ من تلاميذهم في الأمور الَّتي هم شاهدوها وعاينوها وعايشوا أحداثها ؟

هذا يدلُّ على أنَّ كاتبه غير متَّى الذي يزعمون أنه حواريّ ، وأنَّ دعوى النَّصارى أنَّ كاتب الإنجيل هو متَّى الحواريّ دعوى عارية عن الدَّليل وهي من باب الظَّنِّ والتَّخمين الَّذي لا يغني من الحقِّ شيئًا .

ثانيًا : إنجيل مرقص

هذا الإنجيل الثَّاني في ترتيب الأَنَاجيل لدى النَّصارى وهو أقصرها إذ أنَّه يحوي ستة عشر إصحاحًا فقط .

أمَّا كاتب الإنجيل فهو في زعم النَّصارى رَجُلٌ من أتباع الحواريِّين والمعلومات عنه قليلة جدًا وغامضة ولا تتَّضح شخصيَّته وضوحًا يُطمئن النَّفس ، إذ أنَّ كُلَّ ما ورد عنه الإشارة إلى أنَّ اسمه يوحنا ويلقَّبُ مرقص ، وأنَّه صاحَبَ بولس وبرنابا في دعوتهما ، ثم افترق عنهما ، ثم ذكر بولس في رسائله اسم مرقص ذكرًا مقتضبًا لا يُعطِي غناءً في التَّعريف به[١].

وورد ذكر اسمه مع بطرس حيث يقول عنه : « **تسلم عليكم الَّتي في بابل المختارة معكم ومرقص ابني** »[٢] .

فهذه المعلومات يفهم منها أن الرَّجُلَ مجهول ، إذ أنَّها لم تُعطِ تعريفًا بدينه

(١) انظر رسالة بولس إلى كولوسى (١٠/٤) ورسالته الثانية لتيموثاوس (١١/٤) ، ورسالته إلى فليمون (٢٥) .

(٢) رسالة بطرس الأولى ١٢/٥ . ولا بد أن يعلم أنه لا يوجد لدى النصارى أي دليل يثبت أن كاتب الإنجيل هو مرقص ابن أخت برنابا ، وهو مرقص رفيق بولس ، وهو تلميذ بطرس بل الأقرب أن أولئك أربعة أشخاص لهم اسم واحد ، خاصة إذا علمنا أن اسم مرقص كان اسمًا منتشرًا في ذلك الزمان .

وعلمه ، وأمانته ، ونحو ذلك ممَّا يجب توافر معرفته فيمن يكون واسطة لكتاب مقدَّسٍ .

☚ أمَّا الكتاب وهو الإنجيل فأقدم المعلومات الَّتي عزته إلى من يُسَمّى مرقص ما نقله « يوسابيوس » في تاريخه الكنسي عن « بابياس » حيث قال : « **ولقد قال الشيخ أَيضًا إنَّ مرقص الَّذي صار مفسِّرًا لبطرس قد كتب بكُلِّ دقَّة كُلّ ما تذكَّره من أَقوال وأَعمال الرَّبِّ ، ولكن ليس بالتَّرتيب لأنَّه لم يسمع الرَّبَّ ولم يتبعه ولكن كما قلت قبلًا عن بطرس الَّذي ذكر من تعاليم السَّيِّد ما يوافق حاجة السَّامعين ، بدون أن يهدف إلى كتابة كُلِّ ما قاله الرَّبُّ وعمله ، وهكذا فَصَّل مرقص أَنَّه لم يعملْ خَطأً واحدًا في كُلِّ ما ذكره وكتَبَهُ ... »**[1].

هذه أقدم شهادة لدى النَّصارى عن الكِتَاب والكاتب فهي شهادة مطعون فيه[2] لمجهول الحال وهو مرقص ، عن أمر مُجمَلٍ ، حيث ذكر أنَّه كتب ما تَذَكَّرَ ، ولم يفصِّل في المكتوب ما هو !! فهل تكفي هذه الشَّهادَةُ في إثبات صحة الكتاب ؟! لاشك أنها لاتكفي فإن مثل هذه الأدلة والشواهد لو قدمت لدى قاض في قضية لم يقبلها ولم يحكم وفقها .

ثالثًا : إنجيل لوقا

هذا الإِنجيل الثَّالث في ترتيب النَّصارى لكتابهم ، ويحوي أربعة وعشرين إصحاحًا .

وكاتب الإِنجيل في زعم النَّصارى هو أحد الوثنيِّين الَّذين آمنوا بالمسيح بعد

---

(١) انظر : تاريخ الكنيسة يوسابيوس ص ١٧٧ ، وكتاب المدخل إلى العهد الجديد ص ٢١٨ .

(٢) انظر : ما سبق من كلام يوسابيوس عن بابياس ص ٢١٦ .

رفعه وكان رفيقًا لبولس (شاؤول اليهودي) حيث ذكره بولس في ثلاث مواضع من رسائله واصفًا إياه بأنَّه رفيقه[١] .

ولا يُوجَدُ لدى النَّصارى معلومات عنه سوى أنَّه أممي رافق بولس في بعض تنقُّلاته حيث ورد اسمه في تلك الرّحلات .

فهو بذلك يُعتَبَرُ شخصيَّة مجهولة وغير معروفة ولا متميّزة بعدالة وديانة ومع هذا أيضًا لا يوجد لدى النَّصارى دليل يُعتَمَدُ عليه في صحَّة نسبة الكتاب إليه .

ولندرة المعلومات الَّتي تُوَثِّق نسبة الكتاب إلى لوقا المذكور يستشهد النَّصارى بكلام مجهول حيث يقول القس فهيم عزيز في كتابه « المدخل إلى العهد الجديد » في استدلاله على صحة نسبة الكتاب إلى لوقا ما يلي :

« هناك مقدمةٌ كُتِبَتْ لإنجيل لوقا فيما بين (١٦٠ ـ ١٨٠ م) ، اسمها « ضد مارسيون » فيها :

☚ يقول الكاتب عن لوقا : « **إنَّه من أنطاكية في سوريا مهنته طبيب وكان أَعزبًا بدون زوجةٍ مات وهو في سن ٨٤ في بواتييه[٢] ممتلئًا بروح القُدسِ وقد كتب إنجيله كُلَّه في المناطق الَّتي تحيط بأخائيه[٣] لكي يفسِّر للأمم القصَّة الصَّحيحة للعهد الجديد الإلهيِّ ...** » .

☚ ثم قال صاحب الكتاب معلقا : « **هذه مقتطفات عن هذه الشَّهادة ،**

(١) انظر : رسالة بولس إلى كولوسي (٤ / ١٤) ، ورسالته الثَّانية إلى تيموثاوس (٤ / ١١) ، ورسالته إلى فليمون (٢٤) .

(٢) بواتييه : مدينة غرب فرنسا ، الموسوعة العربية الميسرة ، ٤٢٠/١ .

(٣) أخائية أو أخايا : إقليم في جنوب اليونان . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ٦٣/١ .

الَّتي لا يُعرَفُ كاتِبُهَا وقد قبلها كثير من العلماء لأنَّهم لم يجدوا من أتباع مارسيون[١] من يُكَذِّبُهَا ممَّا يَدُلُّ على أنَّها تقليد كنسيٌّ قويٌّ »[٢] .

بمثل هذه الشَّهادة المجهولة يثبت النَّصارى صِحَّة كتابهم إلى ذلك الرَّجُل المجهول لوقا ، وهي لا شكَّ شهادة لا قيمة لها ولا تفيد شيئًا ، ويَدُلُّ استدلالهم بها على أنَّهم لا يملكون أدِلَّةً على صحَّة نسبة الكتاب إلى من يسمونه لوقا وذلك يبين لنا أنَّ النَّصارى حين زعموا أنَّ إنجيل لوقا كِتَابٌ صَحِيحٌ وصادِقٌ فإنَّ ذلك مجرَّد دعوى بدون بينة .

رابعًا : إنجيل يوحنا

هذا الإنجيل الرَّابع في ترتيب العهد الجديد وهو إنجيل متميِّزٌ عن الأَناجيل الثَّلاثة قبله إذ تلك متشابهة إلى حدٍّ كبير ، أمَّا هذا فإنه يختلف عنها لأنَّه ركز على قَضِيَّةٍ واحدةٍ وهي : إبراز دَعوى أُلُوهيَّةِ المسيح وبنوَّته للَّه (تعالى اللَّه عن قولهم) بنظرة فلسفيَّة لا تخفى على النَّاظر في الكتاب لهذا يعتبر هو الكتاب الوحيد من بين الأناجيل الأربعة الَّذي صرَّح بهذا الأَمر تصريحًا واضحًا .

وإذا بحثنا في صحة نسبة الكتاب إلى يوحنا الَّذي يزعم النَّصارى أَنَّ الكِتَابَ من تصنيفه نجده أقلَّ كتبهم نصيبًا من الصِّحَّة ، لعدَّة أدلَّةٍ أَبرَزَهَا مُنكِرُوا نسبة الكتاب إلى يوحنا الحواري وهي :

١ ـ أَنَّ بوليكاربوس الَّذي يُقَالُ إِنَّه كان تلميذًا ليوحنا لم يشر إِلَى هذا الإنجيل عن شيخه يوحنا ، ممَّا يدلُّ على أنَّه لا يعرفه وأَنَّ نسبته إلى شيخه غير صحيحة .

---

(١) مارسيون هو أحد الخارجين على الكنيسة .

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص ٢٧٢ .

٢ ـ أَنَّ الكتاب مملوء بالمصطلحات الفلسفيَّة اليونانيَّة الَّتي تدلُّ على أنَّ لكاتبه إلمامًا بالفلسفة اليونانيَّة ، أمَّا يوحنا فكما يذكر النَّصارى فقد كان يمتهن الصَّيد ممَّا يَدُلُّ على أنَّه بعيد عن الفلسفة ومصطلحاتها .

٣ ـ أنَّ النَّصارى الأَوائلِ لم ينسبوا هذا الإِنجيل إلى يوحنا الحواري المزعوم وأن « يوسابيوس » الَّذي كان يسأل « بابياس » عن هذه الأُمورِ يقول : « الواضح أنَّ بابياس يذكر اثنين اسمهما يوحنا : الأول الرَّسُول وقد مات والثَّاني الشَّيخُ وهو حيٌّ . ويلوح أنَّه هو الَّذي كتب الإِنجيل » .

فلهذا يقول القس فهيم عزيز بناءً على ذلك « إِنَّ الكنيسةَ كانت بطيئةً في قبولها لهذا الإِنجيل »[1] .

وبناءً على ذلك فمنذ نهاية القرن التَّاسع عشر ظهر الاعتراض على نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنَّا بشكلٍ واسعٍ ووصفته دائرةُ المعارف الفرنسيَّةُ بأنَّه إنجيل مزوَّرٌ وهذه الدَّائرةُ اشترك في تأليفها خمسمائةٍ من علماء النَّصارى ونصّ كلامهم : « أمَّا إنجيل يوحنَّا فإنَّه لا مرية ولا شكَّ كِتَابٌ مزوَّر أراد صاحبه مضادَّة اثنين من الحواريِّين بعضهما لبعض وهما القِدِّيسان يوحنا ومتَّى ، وقد ادَّعى هذا الكاتب المزوِّر في متن الكتاب أَنَّه الحواري الَّذي يحبُّه المسيح ، فأخذت الكنيسةُ هذه الجملةَ على علاتها ، وجزمت بأنَّ الكاتب هو يوحنا الحواريّ ، ووضعت اسمه على الكتاب نصًّا مع أنَّ صاحبه غير يوحنا يقينًا ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التَّوراة الَّتي لا رابطة بينها وبين من نُسِبَتْ إليه ، وإنَّا لنرأفُ ونُشفِقُ على الَّذين يبذِلُونَ منتهى جهودهم ليربطوا ولو

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص ٥٥١ .

بأوهى رابطةٍ ذلك الرَّجلُ الفلسفي الَّذي ألَّف هذا الكتاب في الجيل الثَّاني بالحواريّ يوحنا الصَّيَّاد الجليلي ، فإنَّ أَعمالهم تضيع عليهم سُدًى لخبطهم على غير هدًى »[١] .

نقول مع هذه الاعتراضات ، ومع وعدم وجود أدلة تثبت صحة نسبته إلى يوحنا الحواري المزعوم ، فلايجوز لعاقل أن يدعي صحة نسبته إلى يوحنا فضلًا عن أن يزعم أنه كتاب مقدس موحى به من الله ، فهذا فيه إفتراء عظيم على الله عز وجل ، وإضلال لعباد الله بالباطل .

بعد هذا كله يتضح للناظر اللبيب أن النصارى وكذلك اليهود من قبلهم لايملكون مستندًا صحيحًا لكتبهم يثبت صحة نسبتها إلى من ينسبونها إليه وإن من المعلوم أن أي إنسان أراد أن يقاضي إنسانًا آخر لدى محكمة فلا يمكن أن تنظر المحكمة في دعواه مالم يقدم من الإثباتات الصحيحة مايصح إعتباره دليلًا ، والنصارى لم يقدموا لأنفسهم ولا لأهل ملتهم من المستندات والأدلة شيئًا يثبتون به صحة كتبهم ، بل لايعرفون طريقًا إلى شيء من المستندات الصحيحة يقول الشيخ رحمه الله الهندي في كتابه العظيم « إظهار الحق » : « ولذلك طلبنا مرارًا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظره التي كانت بيني وبينهم[٢]فقال : إن سبب

(١) نقلًا عن كتاب دراسات في الكتاب المقدَّس . د . محمود علي حمايه ص ٦٤ .

(٢) المقصود بها المناظرة الكبرى التي تمت في الهند بين الشيخ رحمة الله الهندي وزعيم المنصرين في الهند مبعوث الكنيسة الانجليزية د . فندر وكانت المناظرة سنة ١٨٥٤م في يومي ١٠ـ١١ نيسان وكانت موضوعاتها هي :النسخ والتحريف ، وألوهية المسيح ، والتثليث ، وإعجاز القرآن ونبوة محمد ﷺ ، وقد مُنِيَ د . فندر بهزيمة نكراء وخزي وعار بإقراره بالنسخ والتحريف .
ثم قطع المناظره ، ثم جلا عن الهند ، وفر منها وعاد إلى بريطانيا ، بعد أن أظهر الله كذبه =

فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على النصارى إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة »[١].

وفي هذا كفاية ودلالة على أن تلك الكتب التي تسمى الأناجيل كتب لايملك أصحابها أي مستند يمكن الاعتماد عليه في صحة نسبتها إلى من ينسبونها إليه ، فضلًا عن أن يصح نسبتها إلى المسيح عليه السلام أو إلى الله عز وجل .

= ونشر خزيه ورد عن المسلمين ولله الحمد عدوانه وشره . انظر أخبار المناظرة في مقدمة كتاب إظهار الحق ١/٣٤ .

(١) إظهار الحق (١/١١١) .

مع نقد النصرانية

المطلب الثاني

الأناجيل الأربعة متنًا

إنَّ الكتب المقدَّسة كتب معصومة عن الخطأ محفوظة من الخلل والزَّلل لأنَّ المفترض فيها أن تكون من قبل ربِّ العالمين الذي يعلم السِّرَّ وأخفى وهو الحقّ لا يصدر منه إلَّا الحقّ جَلَّ وعلا .

والنَّصارى يسندون كتبهم إلى اللَّه عزَّ وجلَّ عن طريق الإلهام إلى كُتَّابها(١). والدَّارس لهذه الكتب يستطيع أن يتبيَّن صدق هذه الدَّعوى من كذبها ، إذ أنَّ الحقَّ لا خفاء فيه .

وقد سبق أن ذكرنا نبذة عن هذه الكتب من ناحية السَّند ، حيث تبين أنَّ النَّصارى لا يوجد عندهم دليل يُثبِتُ صحَّة نسبة كتبهم إلى أولئك النَّاس الَّذين نُسِبَتْ إليهم ، فعليه لا يمكن اعتبارها كتبًا صحيحة ، ولا يجوز لعاقل أن ينسبها إلى أولئك الرجال فضلًا عن أن ينسبها إلى الله عز وجل ، وممَّا يؤكِّد عدم صِحَّتِها الاختلافات الكثيرة بينها ، وكذلك الأغلاط العديدة فيها وسنضرب لذلك أمثلة :

أولًا : الاختلافات

إذا قارنا بين الأناجيل الأربعة نجد بينها اختلافات جوهريَّة تدلُّ على خطأ كُتَّابها ، وأنَّهم غير معصومين ولا ملهمين ، وأن الله عز وجل بريء منها ، ورسوله عيسى عليه السلام ، ومن الأمثلة على ذلك :

---

(١) انظر : الكتاب المقدَّس هل هو كلمة اللَّه . للقس عبد المسيح ص ٢٢ .

نسب المسيح عليه السَّلام

إنَّ ممَّا يصيب الإِنسان بالدّهش أنَّ النَّصارى لم يستطيعوا أن يضبطوا نسب المسيح عليه السَّلام ، ولم يتَّفقوا عليه فأعطاه كلًّا من صاحب إنجيل متَّى وصاحب إنجيل لوقا نسباً مختلفًا عن الآخر وإليك جدولًا بذلك يوضِّح الفرق بينهما :

إنجيل متى		إنجيل لوقا		
المسيح ابن		المسيح ابن		
١ـ يوسف	١٥ـ آمون	١ـ يوسف	١٥ـ شمعي	٢٩ـ اليعازر
٢ـ يعقوب	١٦ـ منسى	٢ـ هالي	١٦ـ يوسف	٣٠ـ يوريم
٣ـ متان	١٧ـ حزقيا	٣ـ متثاب	١٧ـ يهوذا	٣١ـ متثات
٤ـ اليعازر	١٨ـ أحاز	٤ـ لاوي	١٨ـ يوحنا	٣٢ـ لاوي
٥ـ أليود	١٩ـ يوثام	٥ـ ملكى	١٩ـ ريسا	٣٣ـ شمعون
٦ـ أخيم	٢٠ـ عزيا	٦ـ ينا	٢٠ـ زربابل	٣٤ـ يهوذا
٧ـ صادوق	٢١ـ يورام	٧ـ يوسف	٢١ـ شألتئيل	٣٥ـ يوسف
٨ـ عازور	٢٢ـ يهوشافاط	٨ـ متاثيا	٢٢ـ نيري	٣٦ـ يونان
٩ـ الياقيم	٢٣ـ أسا	٩ـ عاموص	٢٣ـ ملكى	٣٧ـ ألياقيم
١٠ـ ابيهود	٢٤ـ أبيا	١٠ـ ناحوم	٢٤ـ أدى	٣٨ـ مليا
١١ـ زربابل	٢٥ـ رحبعام	١١ـ حسلي	٢٥ـ قصم	٣٩ـ مينان
١٢ـ شألتئيل	٢٦ـ سليمان	١٢ـ نجاي	٢٦ـ ألودام	٤٠ـ متاثا
١٣ـ يكنيا	٢٧ـ داود	١٣ـ مآث	٢٧ـ عير	٤١ـ تاثان
١٤ـ يوشيا		١٤ـ متاثيا	٢٨ـ يوسى	٤٢ـ داود

ففي هذا النَّسب فوارق وأَغلاط عدة هي :

١ ـ أَنَّ متَّى نسب المسيح إلى يوسف بن يعقوب ، وجعله في النِّهاية من نسل سليمان بن داود عليهما السَّلام .

أَمَّا لوقا فنسبه إلى يوسف بن هالي ، وجعله في النِّهاية من نسل ناثان بن داود عليه السَّلام .

٢ ـ أنَّ متَّى جعل آباء المسيح إلى داود عليه السَّلام سبعة وعشرين أباً أَمَّا لوقا فجعلهم اثنين وأربعين أَباً ، وهذا فرق كبير بينهما يدلُّ على خطأهما أو خطأ أحدهما قطعًا .

والنَّصارى يدَّعون أنَّ أحد الإِنجيلين كتب فيه نسب مريم ، والآخر كتب فيه نسب يوسف . وهذا كلام باطل .

☚ إِذ أنَّ صاحب « إنجيل متَّى » (١ / ١٦) يقول : « **يعقوب ولد يوسف رجل مريم الَّتي ولد منها يسوع الَّذي يُدعَى المسيح** » .

☚ أَمَّا « إِنجيل لوقا » (٣ / ٢٣) فيقول : « **ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ما كان يظن ابن يوسف بن هالي** » .

فكلاهما صرَّح بنسب يوسف .

أَمَّا الأغلاط في هذا النَّسب فعديدة منها :

١ ـ أنَّ نسبة المسيح عليه السَّلام إلى يوسف خطيب مريم في زعمهم خطأ فاحش ، وفيه تصديق لطعن اليهود في مريم أم المسيح عليه السَّلام ، وكان الواجب على النَّصارى أن ينسبوه إلى أُمِّه مريم لا إلى رجل أجنبي عنه خاصة وأن ولادته منها كانت معجزة عظيمة وآية باهرة ، فنسبته إليها فيه إظهار لهذه المعجزه وتأكيد لها وإعلان ، أما نسبته إلى رجل وليس هو أبوه فيه إخفاء لهذه المعجزة واستحياء . والله عز وجل في القرآن الكريم صرح في مواطن عدة بنسبته إلى مريم ﴿ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ١٧، ٧٢، ٧٥] ﴿ عِيسَى

ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : ٤٥] [النساء : ١٥٧، ١٧١] .

٢ ـ أَنَّ صاحب إنجيل متَّى أسقط أربعة آباء من سلسلة النَّسب ثلاثة منهم على التَّوالى بين « عزيا ويورام » ، حيث النَّسب كما هو في أَخبار الأَيَّام الأول (٣ / ١١ ـ ١٣) « **عزريا بن أمصيا بن يواش بن أخزيا بن يورام** » ، كما أَسقط واحدًا بين « يكنيا ويوشيا » وهو « يهوياقيم » ، وسبب إسقاط اسم يهوياقيم بين يوشيا ويكنيا هو أن « يهوياقيم » هذا ملك دولة يهوذا بعد أبيه ، إلا أنه كان عابدًا للأوثان ، فكتب له « إرميا » يحذره من قبيح صُنعِه ، ويبيِّن له مغبَّة أفعاله ، فأحرق « يهوياقيم » الكتاب ولم يرجع عن غَيِّه .

☚ فقال عنه إرميا حسب كلامهم : « **لذلك هكذا قال الرَّبُّ عن يهوياقيم ملك يهوذا لا يكون له جالس على كرسي داود وتكون جثَّته مطروحةً للحرِّ نهارًا وللبرد ليلًا** » « سِفْر إرميا » (٣٦ / ٣٠) .

ومعنى هذا الكلام أنَّه لا يكون من نسله ملك ، فأَسقطه « متَّى » لهذا السبب . وعلل صاحب تفسير العهد الجديد ذلك التَّصرُّف بأنَّ « متَّى » أراد أن يجعل كُلَّ مجموعةٍ من النَّسب تحوي أربعة عشر اسمًا[1] .

ونقول : إذا كانت هذه العلَّة الَّتي لا معنى لها من أجلها حذف أربعة آباء من نسب المسيح ، فذلك يعني أنَّ الكتاب قد كتبه لخدمة أهداف في نفسه وأنَّه لا يكتب ما علم وسمع مجرّدًا من الهوى والآراء الخاصَّة ، ومن هنا يمكن أن ندرك كيفيَّة تعامل النَّصارى الأوائل مع المعلومات الواردة إليهم وأنَّهم يصوغونها وفق ما يرون ويعتقدون ، لا وفق الحق مجردًا عن الهوى والآراء الخاصة .

(١) تفسير العهد الجديد ص ٣ . وقد نص صاحب إنجيل متى على أن جميع الأجيال في آباء =

ولنا أن نبحث هنا عن السَّبب ، في هذا الخطأ الفاحش والاختلاف في نسب المسيح عليه السلام فنقول :

إنَّ سبب خطأ النَّصارى في نسب المسيح عليه السلام أنَّهم نسبوه إلى رجل مغمور غير مشهور هو « يوسف النَّجَّار »(١)، خطيب مريم في زعمهم ، فلهذا أخطأوا في نسبه .

فأعطاه « متَّى » نسبًا مُلُوكيًّا(٢) .

وأعطاه « لوقا » نسبًا آخر غير معروفٍ ولا معلوم(٣) .

ولكن لماذا أعرض كتاب النَّصارى عن مريم ولم ينسبوه إليها ، فيجعلونه كما هو الحقُّ عيسى بن مريم بنت عمران ... ؟

السَّبب في هذا ظاهر ، وهو : أنَّ مريم بنت عمران امرأة عابدة مشهورة تربَّت في بيت النَّبِيِّ زكريا عليه السَّلام الَّذِي كان من نسل هارون عليه

= المسيح « من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلًا ، ومن داود إلى سبى بابل أربعة عشر جيلًا ، ومن سبى بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلًا » . متى (١/١٧)

وهذا خطأ إما متعمد أو غير متعمد ، وكلاهما يدل على أن الكلام ليس من عند الله ولا من وحيه .

(١) في العادة أن الناس الذين يُنسَبون إلى المهن ، مثل النجار أو الحداد أو الصباغ أو نحوها يضيع نسبه بطغيان مهنته واشتهاره بها على نسبه ، فهذا كان والله أعلم حال يوسف النجار ، فلم يكن معروف النسب بل كان مشتهرًا بصنعته ، فإذا ادعى أحد له نسباً ليس من السهل تكذيبه وبيان خطئه ، إذ أنه يمكن أن يكون من عائلة ذات نسب كما أنه يمكن أن يكون غير ذلك .

(٢) يلاحظ أن الأسماء التي في إنجيل متى من بوشيا ، وهو الاسم الرابع عشر إلى نهاية النسب هم من ملوك دولة يهوذا بعد سليمان عليه السلام .

(٣) يذكر الشيخ رحمة اللَّه الهندي إنَّ اختلاف النَّسب بين لوقا ومتَّى دليل على أنَّ إنجيل متى لم يكن معروفًا لدى لوقا وما اطّلع عليه وإلَّا لما خالفه هذه المخالفة الشَّديدة . إظهار الحقِّ (١ / ١٩٧) .

السَّلام حيث كان كاهن[١] بيت المقدس والمسؤول عن البخور عندهم هو زوج « أليا صبات » خالة مريم [٢]، وهي من نسل هارون عليه السلام أيضًا[٣] فتكون مريم من السِّبط نفسه ، وهو سبط لاوي بن يعقوب عليه السَّلام .

☚ وذلك أنَّ تشريع اليهود ، **يأمرهم أَن تتزوَّج المرأة من سبطها ، ولا تتزوج من سبط آخر حتَّى تستمر الأَموال في نفس السِّبط ، ولا تنتقل إلى أسباط أخرى بواسطة الميراث** [٤].

فلهذا تكون مريم من سبط زكريا عليه السَّلام وزوجته[٥] ، وكذلك خطيبها المزعوم إن صح كلامهم في ذلك يكون من السِّبط نفسه ، وهو سبط لاوي الَّذي منه هارون عليه السَّلام .

ومما يدل على أن مريم من سبط هارون قول اللَّه عزَّ وجَلَّ : ﴿ يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ ﴾ [مريم : ٢٨] .

قال السدي : قيل لها ﴿ يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ ﴾ أي أخي موسى لأنَّها من نسله

---

(١) الكاهن في اصطلاح اليهود هو : الذي يقدم الذبائح والخدمات الدينية ، وخاصة الأمور المتعلقة بالأشياء المقدسه لديهم . وكانت في نسل هارون عليه السلام خاصة . انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩١

(٢) ثبت في الحديث الصحيح في حديث المعراج في مسلم (١/١٤٥) أن النبي ﷺ رأى في السماء الثانية عيسى ويحيى عليهما السلام فقال : « ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير » .

(٣) انظر إنجيل لوقا (١/٥ــ١٠) .

(٤) سفر العدد (٣٦/٦ــ٩)

(٥) ورد في إنجيل لوقا (١/٣٦) كلام الملاك مع مريم بعد أن بشرها بالحمل بعيسى عليه السلام « هوذا أليصابات نسيبتك هي أيضًا حبلى » والنسيبة القريبة ، وأصح ماتكون في دلالة اللفظ أنها من نسبك .

كما يُقَالُ للتَّميمي : يا أخا تميم ، وللمضَرِيّ : يا أخا مضر[١] .

وهذا الأمر فيما يبدو علمه كتاب الأناجيل فأزعجهم إزعاجًا شديدًا لأنهم يظنون أن المسيح لابد أن يكون من نسل داود عليه السلام ، فأعطوه ذلك النسب المخترع إلى داود عليه السلام ، وذلك حتى ينطبق عليه مايزعمه اليهود

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ١١٢) ولا يعكِّر على هذا التَّفسير ما روى عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنَّه قال : بعثني رسول اللَّه ﷺ إلى نجران فقالوا : « أرأيت ما تقرءون ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال : فرجعت فذكرت ذلك لرسول اللَّه ﷺ فقال : « ألا أخبرتهم أنَّهم كانوا يُسَمُّون بالأنبياء والصَّالحين قبلهم » . أخرجه مسلم (٣ / ٦٨٥) فهذا لا ينفي ما ذكر من المعنى السَّابق لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ إنَّما بيَّن أنَّ لفظ الأخوَّة في الآية ليست أخوَّةَ النَّسب بمعنى أن تكون هي وإيَّاه خرجا من بطن واحد ، وإنَّما المراد التَّشبيه به ، أو بغيره في الصَّلاح . ومما يستدل به على أن مريم من نسل هارون قول الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فالله تعالى ذكر هنا آل عمران ، وذكر القرطبي في تفسيره (٦٣/٤) عن مقاتل في « آل عمران » أن المقصود به عمران أبو موسى وهارون » ، فتكون مريم من ذلك النسل ، لأنه ذكر قصتها بعد ذلك دليلًا على ماأنعم الله به على ذلك البيت .

مما يؤيد هذا أن آل عمران وخاصة بني هارون عند اليهود هم المكلفون بالأمور التي تتعلق بالعبادة لديهم ولهم وضعية خاصة في تشريع اليهود ، وهذا يوحى بالاصطفاء الخاص ، فإن كل واحد من المذكورين في الآية له اصطفاء خاص من ناحية ذريته .

فآدم عليه السلام نبي والناس كلهم ذريته ، ونوح عليه السلام اصطفى بالنبوة وأن ذريته هم الباقون ، وإبراهيم عليه السلام اصطفى بالنبوة والخله وأن النبوة من بعده في ذريته ، وآل عمران اصطفوا بأن فيهم نبوة والقيام بالشؤون الدينية لدى اليهود ، وخاصة نسل هارون عليه السلام ، فتكون الآية دليلًا على أن مريم بنت عمران من نسل هارون بن عمران عليه السلام .

ومما يؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا﴾ قال ابن إسحاق : أي مفرغًا للعبادة لخدمة بيت المقدس . تفسير ابن كثير (٣١٥/١) ، ويؤيد هذا ويؤكده قوله تعالىعن مريم ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [آل عمران : ٣٧] ففيه دلالة على أنها من خدم البيت وعُبَّاده ، وخدمة بيت المقدس كما سبق ذكره خاصة بآل هارون عليه السلام .

وهو أن المسيح لابد أن يكون من نسل داود عليه السلام حتى يكون مسيحًا . والله أعلم .

٢ـ ذكر « إنجيل متَّى » (١١ / ١٣) من كلام المسيح عن يوحنا المعمدان (يحيى عليه السَّلام) قوله : « **لأنَّ جميع الأَنبياء والنَّاموس إلى يوحنا تنبؤا وإن أردتم أن تقبلوا فهذا إيليا المزمع أن يأتي من له أذنان للسمع فليسمع** » .

☚ وورد في « إنجيل متَّى » أيضًا (١٧ / ١) ، أنَّهم سألوا المسيح عليه السلام فقال : « **وسأله تلاميذه قائلين : فلماذا يقول الكتبة إنَّ إيليا ينبغي أن يأتي أولاً فأجاب يسوع وقال لهم : إنَّ إيليا يأتي أوّلاً ويرد كُلَّ شيءٍ ، ولكنِّي أقول لكم إنَّ إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كُلَّ ما أرادوا ، كذلك ابن الانسان أَيضًا سوف يتألَّم منهم ، حينئذ فَهِمَ التَّلاميذُ أنَّه قال لهم عن يوحنا المعمدان** » .

فالمسيح هنا يبيِّن أنَّ يحيى عليه السَّلام هو إيليا .

☚ ويخالف هذا قول « يوحنا » في إنجيله (١ / ١٩) حين جاء اليهود يسألون يحيي عن نفسه حيث قال : « **أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ، فاعترف ولم ينكر وأقر أَنّي لست أنا المسيح فسألوه من أنت ، إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا . النَّبِيّ أنت ؟ فأجاب : لا . فَقَالُوا له من أنت لنعطي جوابًا للذين أرسلونا ، ماذا تقول عن نفسك . قال : أنا صوتٌ صارخ في البريَّة قوموا طريق الرَّبّ كما قال أشعيا النَّبِيُّ** » .

فهنا أنكر يحيى عليه السَّلام أن يكون هو إيليا وهذا تناقض واضح .

٣ ـ أنَّ « متَّى » ذكر في إنجيله (٢٠ / ٢٩ ـ ٣٤) أنَّ عيسى عليه السَّلام

لما خرج من « أريحا » قابله أعميان فطلبا منه أن يشفيهما من العمى فلمس عيونهما فشُفِيَا . وقد ذكر هذه القصَّة « مرقص » في (١٠ / ٤٦ ـ ٥٢) وبين أنَّ بارينماوس الأعمى بن نيماوس هو الَّذي طلب ذلك فقط .

٤ ـ أنَّ « مرقص » ذكر في (٦ / ٨) أنَّ عيسى عليه السَّلام أوصى حواريه حين أرسلهم للدَّعوة في القرى بأن لا يحملوا شيئًا للطَّريق غير عصا فقط لا مزودًا ، ولا خبزًا ، ولا نحاسا . وذكر ذلك « لوقا » في (٩ / ٣) إلَّا أنَّه قال : « **إنَّ عيسى عليه السلام أوصَاهُم وقال لهم (لا تحملوا شيئًا للطَّريق لا عصا ولا مزودًا ولا خبزًا ولا فضَّة)** .

ففي الأَول : أجاز لهم حمل العصا ، والثَّاني : نهاهم عن حمل العصا أيضًا .

٥ ـ أنَّ « إنجيل متَّى » ذكر فيه في (١٥ / ٢١) أنَّ المرأة الَّتي طلبت من المسيح شفاء ابنَتِهَا كانت كنعانيّة .

☚ وذكر القِصَّة « مرقص » في إِنجيله (٧ / ٢٤) ، ونصّ عبارته عن جنس المرأة : « **وكانت المرأة أممية وفي جنسها فينيقية سورية** »[1] .

٦ ـ أنَّ « إِنجيل متَّى » ذكر أَسماء تلاميذ عيسى الاثنى عشر .

☚ فقَالَ (١٠ / ٢) : « **وأَمَّا أسماء الاثنى عشر رسولًا فهي هذه : الأول سمعان الَّذي يُقَالُ له بطرس ، واندراوس أخوه ، يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه ، فيلبس ، وبرثولماوس ، توما ، ومتَّى العشار ، يعقوب بن حلفى ، ولباوس الملقب تداوس ، سمعان القانوني ، ويهوذا الاسخريوطي**

(١) هكذا في طبعة ١٩٨٢ دار الكتاب المقدَّس في القاهرة ، أمَّا طبعة دار الكتاب المقدَّس في الشَّرق الأوسط ١٩٩٢ م فنصّ العبارة فيها هكذا : « وكانت المرأة يونانيّة جنسُها من فينيقية سورية » .

الَّذي أسلمه » . وذكر « مرقص » في (٣ / ١٦) الأَسماء فوافق فيها متَّى ، وخالفهما لوقا حيث حذف من قائمة متّى (لباوس الملقب تداوس) ووضع بدلًا عنه « يهوذا أخا يعقوب » .

٧ ـ اختلافهم في الَّذين حضروا لمشاهدة قبر المسيح بعد دفنه المزعوم ، ووقت ذلك ،

☚ حيث يقول « متَّى » (٢٨ / ١) : « **وبعد السبت عند فجر أوَّل الأسبوع جاءت مريم المجدليّة ومريم أخرى لتنظرا القبر** » .

☚ وفي « إنجيل مرقص » (١٦ / ١) يقول : « **وبعدما مضى السَّبت اشترت مريم المجدليّة ومريم أُم يعقوب وسالومة حنوطًا ليأتين ويدهنه ، وباكرًا جدًّا في أَوَّل الأُسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشَّمس** » .

☚ وفي « إنجيل لوقا » (٢٤ / ١) يقول : « **ثم في أوَّل الأُسبوع أوَّل الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أَعددنه ومعهن أناس** » .

☚ وفي « إنجيل يوحنا » (٢٠ / ١) يقول : « **وفي أوَّل الأُسبوع جاءت مريم المجدليّة إلَى القبر باكرًا والظَّلام باقٍ فنَظرتِ الحجَر مرفوعًا عن القَبرِ** » .

فهذه الاختلافات وغيرها كثير ذكرها علماء الإِسلام[1] وغيرهم تدلُّ دلالة واضحة على أنَّ في الكتاب صنعةٌ بشريَّةٌ ، وتحريف وتبديل .

---

(١) ذكر الشيخ رحمة اللَّه الهندي : تسعة وسبعين اختلافًا بين الأناجيل فمن أراد الاستزادة فليراجعها في : إِظهار الحق (١ / ١٨٧ ـ ٢٤٦) ، وانظر : المسيح في مصادر العقائد المسيحية للمنهدس / أحمد عبد الوهاب ص ٧٨ وما بعدها .

ثانيًا : الأَغلاط في الأناجيل

كما بين الأناجيل اختلافات يُوجَدُ بها أغلاطٌ وأخطاء كثيرةٌ أيضًا نذكر منها :

١ ـ قال « متَّى » في إنجيله (١ / ٣) مستدلًّا للمسيح وولادته من مريم بنبوءة سابقة جاءت على لسان أشعيا (**وهذا كلُّه كان لكي يتمّ ما قيل من الرَّبِّ بالنَّبِيّ القائل : « هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه « عما نوئيل » الَّذي تفسيره اللَّه معنا »**) .

وهذا غلط لأنَّ هذا اللفظ الَّذي ورد على لسان أشعياء لا ينطبق على المسيح ، فإنَّ له قِصَّةً تَدُلُّ على المراد به وهي :

أنَّ « رصين » ملك أرام ، « وفقح بن رمليا » ملك إسرائيل ، اتَّفقا على محاربة « آحاز بن يوثان » ملك يهوذا ، فخاف منهما « آحاز » خوفًا شديدًا فأوحى اللَّه إلى النَّبِيِّ أشعياء أنْ يقول لآحاز : بأن لا يخاف ، لأنَّهُما لا يستطيعان أن يَفعَلا بِه ما أرادا وأنَّ ملكَهُمَا سيزول أَيضًا ، وبيَّن له أشعياء آيةً لخراب ملكهما وزواله ، أنَّ امرأةً شابَّةً تَحبَلُ وتلد ابنًا يُسمَّى « عما نوئيل » فتصبِحُ أرضُ هذين الملكين خرابًا قبل أن يميِّز ذلك الابن بين الخير والشَّرِّ .

☚ ونصّ كلامه : « **ها العذراء تحبَلُ وتلد ابنًا وتدعو اسمه « عما نوئيل » زبدًا وعسلًا يأكل متى عرف أَن يرفُضَ الشَّرَّ ويختار الخير . لأنَّه قبل أن يعرف الصَّبِيُّ أن يرفض الشَّرَّ ويختار الخير تخلى الأَرض الَّتي أنت خاش من ملكيها** » « سِفْر أشعياء » (٧ / ١٤) .

وقد وقع ذلك فقد استولى « تغلث فلاسر » الثَّاني ملك آشور على بلاد سوريا ، وقتل « رصين » ملكها ، أمَّا « فقح » فَقتله في نفس السَّنة أَحَدِ أقربائه

وتولى الملك مكانه ، كُلُّ ذلك حدث بعد هذه المقولة بما يقارب إحدى وعشرين سنة أي قبل ميلاد المسيح بما يُقَارِبُ سبعة قرون[١] .

☚ ٢ـ قال « متَّى » في إنجيله (٢٧ / ٥١) بعد الصَّلب المزعوم للمسيح وإسلامه الرُّوح : « **وإذا حجاب الهيكل قد انشقَّ إلى اثنين من فوقٍ إلى أَسفل . والأَرض تزلزلت والصُّخور تفتَّقَتْ والقبور تفتَّحت ، وقام كثير من أجساد القدِّيسين الرَّاقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ، ودخلوا المدينة المقدَّسة وظهروا لكثيرين** » .

فهذه الحكاية الَّتي ذكرها متَّى لم يذكرها غيره من كتاب الأَناجيل ممَّا يَدُلُّ على أنَّ كلامه لا حقيقة له ، لأنَّها آية عظيمةٌ تتوافر الهمم على نقلها .

٣ ـ أنَّه ورد في « إِنجيل متَّى » (١٢ / ٤٠) وكذلك في (١٦ / ٤) أنَّ المسيح قال إِنَّه لن يُعطِيَ لليهود آية إِلَّا آية يونان (يونس عليه السَّلام) .

☚ ونَصُّه : « **لأنَّه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أَيَّام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإِنسان قي قلب الأَرض ثلاثة أيَّام وثلاث ليال** » .

وهذا غلط لأنَّ المسيح عليه السَّلام في زعمهم صُلِبَ ضُحَى يوم الجمعة ومات بعد ست ساعات ، أي وقت العصر ، ودُفِنَ قُبَيلَ غروب الشَّمسِ وبَقِي في قبره تلك الليلة ، ونهار السَّبت من الغد ، وليلة الأحد ، وفي صباح الأحد جاؤا ولم يجدوه في قبره ، ممَّا يدلُّ على أنَّه مكث في زعمهم ليلتين ويومًا واحدًا فقط . فيكون كلام متَّى السَّابق غلط واضحٌ .

---

(١) انظر : إظهار الحقِّ لرحمة اللَّه الهندي (٢ / ٣٠٥) . ومن العجيب أن النصارى لازالوا يستدلون على تجسد المسيح بما ذكره متى هنا متغافلين عن حقيقة الكلام ، وأنه خطأ فاحش من متى الذي استدل بتلك العبارة وطبقها على غير موضعها . ثم إن المسيح عليه السلام لم يسمّ عما نوئيل وإنما سمي يسوع حسب الأناجيل .

٤ ـ أَنَّ « متَّى » ذكر في مواضع من كتابه أنَّ القيامة ستَقُومُ على ذلك الجيل ☚ ومن ذلك قوله في (١٦ / ٢٧) على لسان المسيح : « **فإِنَّ ابن الإِنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذٍ يُجَازي كُلَّ واحدٍ حسب عمله ، الحقَّ أَقُولُ لَكُم إنَّ من القيام ههنا قومًا لا يذوقون الموت حتَّى يروا ابن الإِنسان أتيًا في ملكوته** » .

☚ كما ورد في الإِنجيل نفسه (٣ / ٢٣) قولهم على لسان المسيح : « **فإِنَّ الحقَّ أَقولُ لكم لا تكملون مدن إِسرائيل حتَّى يأتي ابن الإِنسان** » .

فهذه النُّصوصُ تؤكِّد القيامة قبل موت الكثيرين من ذلك الجيل ، وقبل أن يكمِّلَ الحواريُّون الدَّعوة في جميع مدن بني إِسرائيل ، وهذا أمر لم يتحقَّق ، وله الآن ألفي سنة إلا قليلًا مما يدلُّ على أنَّه غلط فاحش .

☚ ٥ ـ جاء في « إنجيل لوقا » (١ / ٣٠) في البشارة بالمسيح قوله : « **ويعطيه الرَّبُّ الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إِلَى الأبد ولا يكون لملكه نهاية** » .

وهذا خطأ بيِّنٌ لأنَّ المسيح عليه السَّلام لم يكن ملكًا لليهود ، ولا ملكًا على آل يعقوب ، بل كان أكثرهم معادين له إلى أنْ رُفِعَ إلى السَّماء بسبب محاولتهم قتله .

☚ ٦ ـ ورد في « إنجيل مرقس » (١١ / ٢٣) : « **فأجاب يسوع وقال لهم : ليكن لكم إيمان باللَّه ، لأنَّ الحقَّ أقولُ لكُم : إنَّ من قال لهذا الجبل انتَقِلْ وانطَرِحْ في البحر ولا يَشُكُّ في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له ، لذلك أقول لكم : كُلّ ما تطلبونه حينما تُصَلُّون**

فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم » .

☚ وورد أَيضًا في « إنجيل مرقس » (١٦ / ١٧) : « **وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشَّياطين باسمي ، ويتكلَّمون بألسنةٍ جديدةٍ ، يحملون حيات ، وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرُّهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون** » .

☚ وفي « إنجيل يوحنا » (١٤ / ١٢) : « **الحقّ الحقّ أقول لكم : من يؤمن بي فالأَعمال الَّتِي أنا أَعملها يعمَلُها هو أيضًا ، ويعمل أعظم منها لأني ماضٍ إلى أبي ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله** » .

فهذه النُّصوص الثَّلاثة لا شَكَّ في أنَّها خطأ فلا يستطيع النَّصارى أن يدعو ذلك لأنفسهم .

كما أنَّ عبارة « إنجيل يوحنا » فيها مغالاة شديدة ، حيث زعم أنَّ مَنْ آمن بالمسيح يعمل أعظم من أَعمال المسيح نفسه ، وهذا من التّرهات الفارغة[1].

وبمجموع ما ذُكِرَ عن الأناجيل من ناحية تاريخها ، ومتنها يتبيَّن لنا أنَّ هذه الكتب لا يمكن أَن تكون هي الكتاب الَّذي أنزله اللَّه عزَّ وجَلَّ على عبده ورسوله المسيح عليه السلام ، وأحسن أحوالها أَن تكون متضمِّنة لبعض ما أنزل اللَّه عز وجل على عيسى عليه السَّلام .

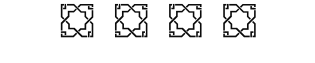

(١) انظر هذه الأغلاط وغيرها كثير في : « إظهار الحقّ » لرحمة اللَّه الهندي (٢ / ٢٩٤ ـ ٣٥٢) فقد ذكر اثنين وسبعين غلطًا في العهد الجديد وحده ، فمن أَراد الاستزادة فليراجعه .

المطلب الثالث

إنجيل برنابا[١]

إنجيل برنابا لايعتبر من الأناجيل القانونية لدى النصارى ولايعترفون به ولأهمية مايحتويه من معلومات ولما بينه وبين الأناجيل الأربعة من تشابه في التعريف بالمسيح عليه السلام ودعوته ، نعرف به هنا في نقاط مختصرة .

أ ـ التَّعريف بـ « برنابا »

برنابا : اسمه « يوسف » ويُلَقَّب ابن الوعظ وهو لاوي قبرصي الجنسيَّة وهو خال « مرقص » صاحب الإنجيل فيما يُقَالُ ، وكان من دعاة النَّصرانيَّة الأوائل ويظهر من إنجيله أنَّ له مكانَةٌ لدى المسيح عليه السَّلام ، والنَّصارى يرون أنَّه من الدُّعاة الَّذين لهم أثر ونشاط ظاهر . وكان من أعماله البارزة أَنَّه باع حقله وأتى بقيمته من النقود ووضعها تحت تصرُّف الدعاة[٢]، وحين ادعى بولس « شاؤول اليهودي » الدخول في دين المسيح عليه السلام خاف منه الحواريون لما يعلمون من سابق عداوته ، فشفع له برنابا عندهم فقبلوه ضمن جماعتهم[٣]، ثم اختلف معه بعد فترة من العمل في الدَّعوة سويًّا وانفصلا[٤] .

ب ـ التَّعريف بإنجيله

أقدم خبر عن إنجيل برنابا كان قريبا من عام ٤٩٢ م ، وذلك حين أصدر

---

(١) لا يعتبر هذا الإنجيل من مصادر النَّصارى لأنَّهم لا يعترفون به ، وإنما ذكر هنا تبعًا للحديث عن الأناجيل ، ولأهميَّة ما يتضمَّن من معلومات ومبادئ .

(٢) أَعمال الرسل (٤ / ٣٧) . (٣) أَعمال الرسل (٩ / ٢٧) .

(٤) انظر : أَعمال الرسل (١٥ / ٣٦) .

البابا « جلاسيوس » الأول أمرًا يحرم فيه مطالعة عدد من الكتب ، كان منها كتاب يُسَمَّى « إنجيل برنابا » وهذا كان قبل مبعث النَّبِيِّ ﷺ . ثم لم يظهر له خبر بعد ذلك إِلَّا في أواخر القرن السَّادس عشر الميلاديّ ، حيث عَثَر أحد الرُّهبان اللاتينيين وهو (فرامرينو) على رسائل (لإريانوس) ينَدِّدُ فيها ببولس ، وأسند (إريانوس) تنديده هذا إلى إنجيل برنابا . فحرص هذا الرَّاهب على الاطِّلاع على هذا الإنجيل . واتَّفق أنَّه أصبح مقربًا للبابا « سكتس » الخامس ، ودخل معه يومًا إِلى مكتبته فأخذت البابا غفوةٌ نام فيها ، فأخذ « فرامرينو » يطالع في مكتبته رغبة في قطع الوقت ، فوقعت يده على هذا الكتاب فوضعه في ثوبه وأخفاه ، ثم استأذن بعد أن أفاق البابا ، وخرج فطالع الكتاب بشغف شديد ثم أسلم على أثر ذلك ـ بين هذه المعلومات المستشرق سايل في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم .

ثم في أوائل القرن الثَّامن عشر عام ١٧٠٩ م عثر (كريمر) أحد مستشاري ملك بروسيا على نسخة لإنجيل برنابا باللغة الإيطالية ، عند أحد وجهاء مدينة أمستردام ــ حيث كان يقيم وقتئذ ــ ، وأهداها كريمر إِلى الأمير (ايوجين سافوى) لولعه بالعلوم والآثار التَّاريخية . ثم انتقلت تلك النُّسخة فيما بعد وذلك عام ١٧٣٨ م مع جميع مكتبة ذلك الأمير إِلى مكتبة البلاط الملكي في ڤينا حيث هي موجودة الآن ، ثم ترجمت إِلى الإنجليزية وعنها إِلى العربيَّة من قبل الدكتور خليل سعادة وهو لبنانيٌّ نصرانيٌّ .

وكان يُوجَدُ لهذا الكتاب نسخة أخرى بالأَسبانية ، يظن أنَّها منقولة عن الإيطالية عُثِرَ عليها في أوائل القرن الثَّامن عشر أيضا ، وكانت عند رجل يُدعَى الدُّكتور « هلم » أهداها إِلى المستشرق (سايل) ثم دفعها هذا بدوره إِلى الدكتور

« منكهوس » الَّذي ترجمها إِلى الإنجليزيَّة ودفعها مع ترجمتها عام ١٧٨٤ م إِلى الدكتور « هويت » أحد مشاهير الأساتذة في اكسفورد ببريطانيا ، وعنده اختفت هذه النُّسخة مع ترجمتها . وقد أورد الدكتور « هويت » مقتطفات عديدة منها في دروسه ـ وقد اطلع على تلك المقتطفات خليل سعاده . مترجم كتاب إنجيل برنابا إلى العربيَّة .

وحين ظهر هذا الإنجيل أحدث دويًّا في الأوساط النَّصرانيَّةِ ، لما فيه من المعلومات المضادة لعقائدهم فحاولوا دفعه بوسائل كثيرة ، وممَّا زعموه : أنَّه تأليف عربيٌّ مسلم ، أو يهوديٌّ أندلسيٌّ تنصَّر ثم أسلم[1] ـ وهذا في الواقع من التَّخرُّصات ويدلُّ على بطلان تلك الدعاوى أمور منها :

١ ـ لماذا يؤلِّفُ رجلٌ أسلم كتابًا للنَّصارى ويفتري الكذب وهو قد دخل في الإسلام

٢ ـ إنَّ في الكتاب معلومات غير موجودة في كتب اليهود والنَّصارى الآن .

٣ ـ إِنَّ مترجم الكتاب إِلى العربيَّة وهو خليل سعادة النصرانيّ قد وصف صاحب الإِنجيل بأنَّه على إلمام واسع جدًّا بالعهد القديم والنّصرانيّة ، أكثر ممن نذروا نفسهم للدِّين النَّصرانيِّ وتفسيره وتعليمه ، حتَّى إِنَّه ليندرُ أن يكون فيهم من يقرب من إلمام صاحب هذا الإِنجيل ، فكيف يكون مسلمًا وله هذا الإِلمام الواسع ؟!

٤ ـ إِنَّ ممَّا يدفع أن يكون صاحبه مسلم أنَّ فيه أَخطاءً لايمكن أن تقع من المسلم لبداهتها ، ومنها قوله : إنَّ السَّموات عشرة ، وخلطه بين اسم ميخائيل وميكائيل ويقول أدريل بدل إسرافيل .

---

(١) انظر المقدمة المطبوعة مع الإِنجيل للدكتور خليل سعادة فقد ذكر المعلومات السَّابقة كما ذكر أَيضًا ذلك الزَّعم بأنَّ مؤلفه مسلم كتبه ونحله النَّصارى .

وعلى كُلِّ حال فهذا كتاب ظهر في بلاد نصرانيَّة وبخط ولغة نصرانيَّة ، ولم يَرِدْ عن أحد المسلمين أنَّه اطَّلع على الكتاب مع سعة اطِّلاع علماء المسلمين وحرصهم على الرَّدِّ على النَّصارى ، وهو لا شَكَّ ممَّا يظهره اللَّه عزَّ وجَلَّ دليلًا للحق ودحرًا للباطل وردًّا له .

ج ـ أهمُّ مبادئ إنجيل برنابا التي يختلف بها عن الأناجيل الأربعة

إن الَّذِي جعل النَّصارى يحملون على هذا الإِنجيل حملتهم ، ويتنصَّلون منه هو مخالفته لأناجيلهم المعتمدة وعقيدتهم في أخطر وأهم نقاطها وهي :

أوّلًا : أنَّه صرَّح بأنَّ المسيح عليه السَّلام إِنسان وليس إله ولا ابن إله ، وبيَّن أنَّ سبب تأليف إنجيله هو ردّ هذه الفرية الَّتي أَطلقها بولس مع غيرها من الافتراءات ، كترك الختان وإباحة أكل اللحوم النَّجِسَة ، وفي هذا يقول في أول إنجيله : « أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد إفتقدنا في هذه الأيام الأخيره بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة ، للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائمًا مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل في عدادهم أيضًا بولس ، الذي لاأتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ، ولايضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله[1].

ثانيًا : أنَّه نقل عن المسيح التصريح بأن الذَّبيح هو إسماعيل عليه السلام وليس إسحاق ، كما يزعم اليهود وفي هذا يقول :

(١) انظر : إِنجيل برنابا ص ٣ .

« **أجاب يعقوب** : يامعلم قل لنا من[١]صنع هذا العهد[٢]، فإن اليهود يقولون بإسحاق ، والإسماعيليون يقولون : بإسماعيل أجاب يسوع : صدقوني لأني أقول لكم الحق : إن العهد صنع بإسماعيل لابإسحاق .

حينئذ قال التلاميذ : يامعلم هكذا كتب في كتاب موسى أن العهد صنع بإسحاق .

أجاب يسوع متأوهًا : هذا هو المكتوب ، ولكن موسى لم يكتبه ولايشوع بل أحبارنا الذين لايخافون الله . الحق أقول لكم إنكم إذا أعملتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون حيث كتبتنا وفقهائنا ، لأن الملاك قال : يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ، ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله حقًا يجب عليك أن تفعل شيئًا لأجل محبة الله .

أجاب إبراهيم : هاهو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل مايريد الله ، فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلًا : خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحه .

فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين .

فقال حينئذ التلاميذ : إن خداع الفقهاء لجلي ، لذلك قل لنا أنت الحق لأننا نعلم أنك مرسل من الله »[٣].

وذكر برنابا أيضًا أن المسيح خاطب رئيس كهنة اليهود قائلًا له : « **إن إبراهيم أحب الله حيث أنه لم يكتف بتحطيم الأصنام الباطلة تحطيمًا ولابهجر أبيه وأمه ولكنه كان يريد أن يذبح إبنه طاعة لله .**

---

(١) هكذا في الكتاب والأولى (بمن) .

(٢) يقصد بالعهد هو وعد الله لإبراهيم بأن تتبارك كل قبائل الأرض برجل من نسله هو بني آخر الزمان ، وانظر الآتي .

(٣) إنجيل برنابا ص٦٧ـ٦٨

أجاب رئيس الكهنة : ـ إنما أسألك هذا ولا أطلب قتلك فقل لنا : من كان ابن إبراهيم هذا ؟

أجاب يسوع : إن غيرة شرفك يالله تؤججني ولا أقدر أن أسكت . الحق أقول إن ابن إبراهيم هو إسماعيل الذي يجب أن يأتي من سلالته مسيا الموعود به إبراهيم أن به تتبارك كل قبائل الأرض .

« **فلما سمع هذا رئيس الكهنة حنق وصرخ لنرجم هذا الفاجر لأنه إسماعيلي وقد جدف على موسى وعلى شريعه الله**[١] .

ثالثًا : أنه نقل عن المسيح التصريح بالبشاره بالنبي محمد ﷺ باسمه وذلك في مواطن عدة من كتابه منها : أن اليهود سألوا المسيح عليه السلام عن اسم النبي المنتظر فقال : « فقال الكاهن حينئذ : ماذا يسمى مسيا ، وما هي العلامة التي تعلن مجيئه ؟ فأجاب يسوع : إن اسمه المبارك « محمد » حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : ياألله أرسل لنا رسولك يامحمد تعال سريعًا لخلاص العالم[٢] .

وأورد أيضًا برنابا حوارًا تم بينه وبين المسيح عليه السلام ، بعد أن رفع إلى السماء ، ثم عاد مرة أخرى ، ليطمئن أمه وحوارييه بأنه لم يمت ، ثم ارتفع مرة أخرى إلى السماء[٣] ، وهذا نصه : « **فقال حينئذ الذي يكتب**[٤] : **يامعلم إذا**

---

(١) انجيل برنابا ص ٣٠٠ـ٣٠١ .

(٢) انجيل برنابا ص ١٤٩ .

(٣) هذا ما أورده صاحب الإنجيل ، وهو أن المسيح بعد رفعه سأل الله تعالى أن يعيده إلى الأرض حتى يرفع عن أمه وحوارييه الشك في أمره والحزن الذي أصابهم ، لأنهم ظنوا أيضًا أن الذي صلب هو المسيح ـ وإذا صح هذا فلا أرى فيه مانعًا شرعيًا ؟ولم يرد في شرعنا فيما أعلم لامايؤيده ولا مايمنعه .

(٤) يقصد هنا برنابا نفسه .

كان الله رحيمًا فلماذا عذبنا بهذا المقدار بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتًا ، ولقد بكتك أمك حتى أشرفت على الموت ، وسمح الله أن يقع عليك عار القتل بين اللصوص على جبل الجمجمه وأنت قدوس الله .

أجاب يسوع : صدقني يابرنابا إن الله يعاقب على كل خطيئة مهما كانت طفيفة عقابًا عظيمًا ، لأن الله يغضب من الخطيئة ، فلذلك لما كانت أمي وتلاميذي الأمناء الذين كانوا معي أحبوني قليلًا حباً عالمياً ، أراد الله البر أن يعاقب على هذا الحب بالحزن الحاضر حتى لايعاقب عليه بلهب الجحيم ، فلماذا كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئًا في العالم ، أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب ، لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة ، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد سول الله ، الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله »[1].

رابعًا : أن برنابا صرح أن المسيح لم يصلب وإنما رفع إلى السماء ، وأن الذي صلب هو يهوذا الأسخريوطي ، وهو الذي وشى بالمسيح لدى اليهود حيث أُلْقِيَ عليه شبه المسيح ، فقبض عليه وصلب بدلًا عن المسيح عليه السلام .

وهذا نص كلامه : « ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جم غفير ، فلذلك انسحب إلى البيت خائفًا ، وكان الأحد عشر نيامًا ، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم ، فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذه المشرفه على الجنوب ، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في

(١) إنجيل برنابا ص ٣١٨ .

صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد . ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع وكان التلاميذ كلهم نيامًا . فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيها بيسوع حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع ، أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ، لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت ياسيد هو معلمنا أنسيتنا الآن ؟ أما هو فقال متبسماً : هل أنتم أغبياء حتى لاتعرفون يهوذا الأسخريوطي . وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه » .

وبعد أن ذكر محاكمة يهوذا وجلده من قبل اليهود والوالي الروماني وهم يظنون أنه يسوع قال : « وأُسْلِمَ يهوذا للكتبة والفريسيين كأنه مجرم يستحق الموت وحكموا عليه بالصلب وعلى لصين معه . فقادوه إلى جبل الجمجمه حيث اعتادوا شنق المجرمين وهناك صلبوه عريانًا مبالغة في تحقيره »[1].

هذه أهم مبادئ هذا الكتاب الَّذي أحدث بمبادئه وقت ظهوره دويًّا لدى النَّصارى .

أمَّا نحن المسلمين فلا يقدِّم عندنا هذا الكتاب ولا يؤخِّر فنحن مطمئنون لكتاب ربِّنا الَّذي بين أيدينا نعرف به الحقَّ وعلى ضوئه نقيس الحقَّ .

وهذا كتاب لا سند له ولا تاريخ ، ثم هو من تأليف رجل ليس بمعصوم فقد يخطئ ، ويضلُّ ، وينسى ، وهذه لا تجعل لكتابه قيمة دينيَّة عقدية ، وإنما تجعل له قيمة تاريخيَّة وأدبيَّة ، واللَّه أعلم .

(١) إنجيل برنابا (ص٣٠٨، ٣١٤) .

المبحث الثّاني

المجامع النَّصرانيَّة

تمهيد

المجامع النَّصرانيَّة يعرفها النَّصارى بأنَّها : هيئات شوريَّة[١] في الكنيسة تبحث في الأُمور المتعلِّقة بالدِّيانة النَّصرانيَّة وأَحوال الكنائس[٢] .

والمجامع النَّصرانيَّة نوعان :

١ـ **مجامع محليَّة** : وهي الَّتي تبحث في الشُّؤون المحليَّة للكنائس الَّتي تنعقد فيها .

٢ـ **ومجامع مسكونيَّة (عالميَّة)** : تبحث في العقيدة النَّصرانيَّة ومواجهة بعض الأقوال الَّتي يرى غرابتها ومخالفتها للدِّيانة .

وأوَّل المجامع كما يذكر سفر أَعمال الرُّسل كان مجمع أورشليم الَّذي عقد أيام الحواريِّين من أجل النَّظر في حكم إلزام غير اليهود بالشَّريعة الموسوية . فقرَّ المجتمعون هناك أنَّهم لا يلزمون بالختان ولا بالشَّرائع الموسوية ، وإنَّما يلزمون فقط بالامتناع عن الذَّبح للأَصنام والزِّنى وأَكل المخنوق والدم[٣] .

---

(١) هكذا يزعم النَّصارى أَنَّها هيئات شوريَّة والناظر في تلك المجامع خاصَّة الَّتي بحثت في العقيدة يجد أنَّها تنتهي ولم يتَّفق المجتمعون على الأمور الَّتي بحثت ، فيكون هناك جبر وموافقة قسرية على قول من تلك الأقوال أو إذا لم يمكن الجبر والقسر يحدث الانقسام بأن تذهب كُلُّ مجموعة بقولها الَّذي جاءت به كما سيتَّضح من دراسة تلك المجامع . وهذا يتنافى مع كونها هيئات شوريّة إلَّا أن يُقَالَ أنَّها هيئات شوريَّة إلزاميَّة .

(٢) انظر : كتاب (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) ص ٢٠٣ ، فقد نقل هذا عن تاريخ الأقباط لزكي شنودة ، وكتاب الكنيسة المصريَّة لميشيل جرجس .

(٣) انظر : سفر أَعمال الرسل . الإِصحاح الخامس عشر . ويلاحظ أنَّ ذلك ـ إن صدق كاتب سفر الأعمال فيما ذكر ـ من أوائل الانحراف عن شريعة عيسى عليه السلام فهم لم يذكروا دليلًا =

أهم المجامع المسكونيَّة

١ ــ مجمع نيقيه[١] سنة ٣٢٥ م

كان هذا المجمع أوَّل المجامع المسكونيّة وأخطرها أيضا .

سبب انعقاده :

سبب انعقاد هذا المجمع هو التَّعارُض والاختلاف العقدي الموجود في الكنيسة في تلك الأزمان ، وذلك أنَّه ما إن توقَّف الاضطهاد الواقع على النَّصارى من قبل الرُّومان بمرسوم ميلان[٢] . حتَّى ظهر على السَّطح ذلك الخلاف العقدي الكبير بين طوائف النَّصارى ، والَّذي كان يخفيه من قبل الاضطهاد الواقع على جميع أصناف النَّصارى والَّذي كان من أسباب رسوخ هذه الانحرافات العقديَّة كما سيتبيَّن .

وكان أبرز وجوه الاختلاف : ذلك الخلاف والتَّعارض بين دعوة كنيسة الاسكندرية الَّتي كانت تُنَادي بألوهيَّة المسيح على مذهب بولس ، وبين دعوة الأسقف الليبيّ « آريوس » في الاسكندرية أيضا . الَّذي وُصِفَ بأنَّه عالم مثقف ، وواعظ مفوَّه ، وزاهد متقشِّفٌ وعالم بالتَّفسير ، حيث أخذ ينادي بأنَّ اللَّه إله واحد ، غير مولود ، أزليٌّ ، أمَّا الابن فهو ليس أزليًّا وغير مولود من

= على ذلك من كلام المسيح عليه السَّلام إنَّما فقط من استحسانهم وآرائهم ، وهذا ما مهَّد لسائر التَّحريفات الَّتي تمت عن طريق المجامع فيما بعد .

(١) مدينة في آسيا الصغرى تركيا تسمى الآن « أرنيق » . المنجد في الأعلام ص ٧٢١ .

(٢) مرسوم ميلان أصدره الإمبراطور قسطنطين والإمبراطور ليسينيوس سنة ٣١٣ م ويقضي بإعطاء المسيحيين الحريَّة في الدِّيانة وإرجاع أملاكهم المغتصبة وإقرار حريَّة الأديان عموما . انظر : نصّ المرسوم في كتاب (تاريخ أوربا للعصور الوسطى) ص ٥٠ ، تأليف د . الباز العريني .

الأب وأنَّ هذا الابن خرج من العدم مثل كُلِّ الخلائق حسب مشيئة اللَّه وقصده[١].

و شايع آريوس في دعوته العديد من الأساقفة ، منهم أسقف نيقوميديه المسَمَّى « أوسابيوس » وغيره .

وكان الإمبراطور « قسطنطين » في ذلك الوقت قد أبدى تعاطفًا قويًّا تجاه النَّصارى ورفع عنهم الاضطهاد واهتمَّ بشؤونهم[٢] فهاله ما رأى من انقسام النَّصارى ، وأدرك خطورة تلك الانقسامات على دولته ، والَّتي كان أخطرها ما كان بين أسقف كنيسة الإسكندرية « الكسندروس » « وآريوس » وأتباعه .

وكان الخلاف قد تطور بينهما ، وذلك بأن طلب أسقف الإسكندرية عقد مجمع في الاسكندرية للنَّظر في قضية آريوس ودعوته ، فقرَّر ذلك المجمع قطع آريوس من الخدمة ، وهذا جعل آريوس يخرج من الإسكندرية ويتوجَّه إِلى آسيا ، حيث عَقَد في « بثينيه » بآسيا الصُّغرى مشايعوه من الأساقفة مجمعًا قُرِّرَ فيه قبولُ آريوس وأتباعه ، وكتابة طلب إِلى أسقف الإسكندرية برفع الحرمان الَّذي قرَّروه على آريوس[٣] .

---

(١) انظر : كتاب تاريخ الفكر المسيحي (١ / ٦١٩) .

(٢) يرى المؤرِّخ هـ . فيشر : أنَّ أهداف قسطنطين من ذلك التَّقريب للنَّصارى كانت سياسيَّة حيث رأى أنَّ الديانة النَّصرانيَّة تنتشر على حساب الأديان الأخرى ، كما أنَّه أراد أن يكونوا عونًا له في القضاء على إمبراطور بيزنطة ليسينيوس . وهذا ما تحقَّق له فيما بعد وكان قسطنطين يعتبر نفسه الكاهن الأعظم للدِّيانة النَّصرانية وهو في نفس الوقت يجمع بين عبادة الشَّمس والانتساب للنصرانية ، ولم يسمح بتعميده إلَّا وهو على فراش الموت على مذهب آريوس وذلك سنة ٣٣٧ م .
انظر : (تاريخ أوربا في العصور الوسطى) تأليف هـ . فيشر ـ ترجمة محمد زياده ص ٦ ـ ٧ .

(٣) انظر : تاريخ الفكر المسيحي (١ / ٦٢١ ـ ٦٢٢) .

فهذا ما جعل الإمبراطور قسطنطين يدعو إلى مجمع عام في نيقيه سنة ٣٢٥ م لبحث هذه القضية .

ـ عدد الحاضرين ومذاهبهم :

اختلف كلام النَّصارى في ذكر عدد المجتمعين ، فالبعض يرى أنَّ عدد المجتمعين كان ٣١٨ أسقفًا فقط ، وبعضهم يرى أنَّهم ما بين ٣٠٠ ـ ٥٢٠[١]

ويذكر مارى سليمان في كتاب « المجدل » وكذلك ابن البطريق أنَّ عددهم كان (٢٠٤٨) أسقفا[٢] .

أمَّا مذاهب الحاضرين فكانت متباينةً تباينًا شديدًا ، وكما يقول ابن البطريق بأنَّهم كانوا مختلفين في الآراء والأديان .

ـ **فمنهم من كان يقول** : إنَّ المسيح وأُمَّه إلهان من دون اللَّه وهم البربرانية .

ـ **ومنهم من كان يقول** : إنَّ المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأُولى بانفصال الثَّانية منها ، وهي مقالة سابليوس .

ـ **ومنهم من كان يقول** : لم تحبل به مريم تسعة أشهر ، وإنَّما مرَّ في بطنها كما يمرُّ الماء في الميزاب .

ـ **ومنهم من كان يقول** : إنَّ المسيح إنسانٌ مخلوق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وإنَّ الابن من مريم ، ويرون أنَّ اللَّه جوهر قديم واحد وأقنوم واحد ، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالرُّوح القدس ، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية .

(١) انظر : تاريخ الفكر المسيحى (١ / ٦٢١ ـ ٦٢٢) ، وتاريخ الكنيسة ـ لجون لوريمر (٣ / ٤٢) .

(٢) انظر : كتاب أَخبار بطاركة المشرق من كتاب المجدل ص ١٥ ، وكتاب (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء » ص ٢١٢ ، وينقل هذا عن ابن البطريق من نقل زكي شنودة في تاريخ الأقباط .

ـ **ومنهم من كان يقول** : إنَّهم ثلاثة آلهة لم تزل : صالح ، وطالح ، وعدل بينهما . وهي مقالة مرقيون وأصحابه .

ـ **ومنهم من كان يقول** : بألوهيَّة المسيح ، وهي مقالة بولس ومقالة الثَّلاثمائة وثمانية عشر أسقفا[١].

قرارات المجمع ونتيجته :

بعد أن تداول المجتمعون الآراء في ذلك المجمع خرجوا بتقرير ألوهيَّة المسيح عليه السَّلام[٢] وأنه ابن اللَّه ـ في زعمهم ـ أي من ذات اللَّه[٣]وأنَّه مساو للَّه

(١) كتاب محاضرات في النَّصرانيَّة ص ١٢٤ ، حيث ينقل عن ابن البطريق ، وكذلك نقلها زكي شنودة في كتابه « تاريخ الأقباط » ، ونقلها عنه د . رؤوف شلبي في كتابه « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء » ص ٢١٢ .

(٢) قانون الإيمان النيقوي الذي صدر عن المجمع هو قولهم « نؤمن بإله واحد الله الآب كلى القدرة خالق كل الاشياء ، مايرى ومالايرى ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ، ابن الله ، المولود من الأب إله من إله ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود ، غير مخلوق ، من ذات الجوهر مثل الآب به خلق الكل ، مافي السموات وماعلى الأرض ، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وعاش بين الناس ، الذي تألم وفي اليوم الثالث قام ، وصعد إلى السموات ، ويأتي ليدين الأحياء والأموات » . انظر تاريخ الكنيسة (٤٨/١) .

(٣) يُلاحَظُ هنا أنَّ نَصّ قانون الإيمان الَّذي قرَّروه في ذلك المجمع هو النَّصُّ الَّذي قدَّمه أسقف الإسكندرية القائل بألوهيَّة المسيح . والبعض يذكر أنَّ كلمة « أنَّ الابن من نفس جوهر الأب » وهي الَّتي كان يدور حولها الخلاف الكبير بين أولئك المجتمعين كانت من اقتراح الإمبراطور قسطنطين . انظر تاريخ الكنيسة (١ / ٤٨) ، ومن المعلوم أن قسطنطين كان في ذلك الوقت لا يزال وثنيًّا ، لم يعلن دخوله في النَّصرانيَّة . وهذا يدلُّنا على مستوى تلك الموافقة الظَّاهريَّة الَّتي وقعت في ذلك المجمع وأنَّها إنَّما كانت لترأس الإمبراطور ذلك المجمع وتدخُّله المباشر فيه وخطورة تلك الاضافة التي ركز عليها في ذلك المجمع أنها نقلت المسيح في اعتقادهم من أن يكون بشرًا مخلوقًا إلى إله خالق وأورثت النصرانية كل الإنحرافات التي حدثت بعد ذلك والجدل الطويل حول المسيح والمجمعات =

جلَّ وعلا ، وأنَّه مولود منه غير مخلوق ـ تعالى اللَّه عن قولهم علوًّا كبيرًا .

كما قرَّروا أنَّ هذا الإله تجسَّد بصورة البشر لخلاص النَّاس ، ثم ارتفع إلى السَّماء بعد قيامته من الموت ، كما تمَّ لعن « آريوس » ومشايعيه وحرق كتبه .

وقد وقع كثير من المجتمعين على هذه القرارات لمناصرة قسطنطين لها ، ويرى ابن البطريق أنَّ (٣١٨) أسقفا فقط هم الَّذين أظهروا هذا القول ووقعوا عليه وخالفهم بقيَّة الأساقفة[١] ، والبعض الآخر يرى أنَّ الجميع وقعوا عليها ما عدا يوسابيوس أسقف نيقوميديه في قول بعضهم وشخص آخر فقد رفضا التَّوقيع على ذلك النَّصِّ[٢] .

وهكذا انتصر في أوَّل الأمر القائلون بألوهيَّة المسيح بمساندة وتأييد الإمبراطور حيث ينصُّ بعض المؤرِّخين على ترأُّسِه لذلك المجمع[٣].

وممَّا يدلُّ على أنَّ المجتمعين في نيقيه لم يقبلوا ذلك القول بألوهيَّة المسيح ولم يكن عند القائلين به حُجَّة مُقنِعَةٌ : أنَّهم كما يذكر القس حنّا الخضرى بعد ذكر الانتصار الَّذي حقَّقه مشايعوا مقولة بولس قال : « **ولكن للأسف الشَّديد كانت الحقيقة الواقعة تختلف الاختلاف كُلَّه عن القرارات السنودسية والمجمعية . فقد رجع الأساقفة بعد مجمع نيقيه إلى أبرشياتهم**

= الكثيرة التي انعقدت حول ماتفرع عن الكلام حول المسيح وطبيعته كما جعل النصرانيه تنتقل من صف الدين السماوي التوحيدي إلى صف الأديان الوضعية التي تقوم على تعدد الألهه وعبادة غير الله عز وجل .

(١) انظر : محاضرات في النصرانية ص ١٢٤ .

(٢) انظر : مجموعة الشرع الكنسي ص ٤٣ ، تاريخ الكنيسة ص ٤٩ .

(٣) انظر : « تاريخ أوربا في العصور الوسطى » . هـ . فيشر ص ٨ ، و « تاريخ أوربا للعصور الوسطى » د . الباز العريني ص ٧٤ .

والقسوس إلى كنائسهم وبدأ كُلٌّ منهم يعلِّمُ ما كان يُعَلِّم به قبلاً[١] بل إنَّ البعض تطرَّف في الهرطقة الَّتي فاقت هرطقة « آريوس » نفسه . فمع أنَّ « آريوس » وبعض أتباعه نُفُوا إلَّا أنَّ الآريوسية بنت عشَّها في حدائق كثيرين من الأَساقفة والرُّعاة »[٢] .

ولما كان قرار نيقيه بألوهيَّة المسيح فرض بقوة السُّلطان ، فإنَّ السُّلطان وهو الإمبراطور رجع فيما بعد عنه وأمر بعقد مجمع صور سنة ٣٣٤ م وقرر فيه إعادة « آريوس » إلى الكنيسة ، وخلع « أثنا سيوس » أسقف الإسكندرية أحد أكبر المدافعين عن عقيدة ألوهيَّة المسيح ، كما أنَّ الإمبراطور نفسه قد عُمِّد وهو على فراش الموت على مذهب « آريوس » حيث عمَّده الأسقف « أوسابيوس النيقوميدي » أَكبر أَنصار آريوس[٣] .

وهكذا يتبيَّن أنَّ هذا المجمع الَّذي يُعَدُّ من أخطر المجامع كان ألعوبةً بيد الإمبراطور الوثني الَّذي كان وثنيا ولم يكن من أهل تلك الملة وقت ترأُّسِهِ ذلك المجمع ، كما أنَّ المجتمعين لم يكونوا يعتمدون على نصوص متَّفق عليها مقبولة لدى الجميع وإلَّا لتَمَّ الإذعان لمدلولها ، وإنَّما كانوا يعتمدون على تصوراتهم أو تصوُّرات أمثالهم من النَّاس . فلهذا وقع الإعراض عنها بعد عودتهم إلى كنائسهم .

---

(١) هذا يدلنا على أن المجتمعين في نيقيةلم تقدم لهم أدلة مقنعة لتلك المقولة الغريبة ، وهم وإن استطاعوا أن يظهروا بظهر الموافق في المجمع ، فإنهم لم يستطيعوا أن يظهروا بذلك المظهر أمام أتباعهم وجماعتهم كما أنهم لم يستطيعوا أن يظهروا تلك المقولة ويشرحوها فأعرضوا عنها وعادوا لما كانوا يعرفون ويعلمون وتركوا مايجهلون وينكرون .

(٢) تاريخ الفكر المسيحي ص ٦٤٣ .

(٣) انظر : تاريخ الفكر المسيحي (١ / ٦٥٠) ، وتاريخ الكنيسة (٣ / ٥٩) .

٢ ـ مجمع القسطنطينية

دعا الإِمبراطور « ثيودسيوس » سنة ٣٨١ م إلى عقد مجمع القسطنطينيَّة لمواجهة دعوات كانت منتشرة بين الكنائس .

منها دعوة « مقدونيوس » الَّذي كان أسقفا للقسطنطينيَّة ، الَّذي نادى بأنَّ الرُّوح القدس مخلوقٌ وليس إِلهًا .

ودعوة « صابيليوس » الَّذي كان ينكر وجود ثلاثة أقانيم .

ودعوة « أبوليناريوس » الَّذي كان أسقفا على اللاذقية والشَّام والَّذِي أنكر وجود نفس بشريَّة في المسيح .

فحضر ذلك المجمع مائة وخمسون أسقفًا قرَّروا فيه ألوهيَّة الرُّوح القدس ولعن وطرد من خالف ذلك[١] فاكْتَمَل بذلك ثالوث النَّصارى .

وكما هو ظاهر فإنَ هذا المجمع عُقِدَ بدعوة من الإِمبراطور « ثيودسيوس » الَّذي كان قد سنَّ القوانين والتَّشريعات لمصلحة القائلين بألوهيَّة المسيح والمثلِّثين من النَّصارى .

٣ ـ مجمع أفسس سنة ٤٣١ م

انعقد هذا المجمع لمواجهة قول « نسطور » أسقف القسطنطينيَّة ، الَّذى قيل عنه إنَّه كان يقول بأنَّ المسيح له طبيعتان إلهيَّة وإنسانيَّة بشريّة[٢]وأنَّ مريم والدة

---

(١) انظر : مجموعة الشَّرع الكنسي ص ٢٤٦ ، تاريخ الكنيسة (٣ / ١٠٤ ، ١١١) ، النصرانيَّة من التَّوحيد إِلَى التَّثليث ص ١٨٣ .

(٢) انظر : كتاب تاريخ الفكر المسيحيّ (٢ / ١٧٠) ، تاريخ الكنيسة جون لوريمر (٣ / ٢١٥) . ويذكر البعض أنَّ نسطور كان يرى أنَّ المسيح لم يكن إِلٰهًا وإِنَّما هو إنسان مملوء من البركة =

الإنسان وليست والدة الإله .

فعُقِدَ المجمع في أفسس سنة ٤٣١ م بحضور مئة وستِّين أسقفا وقرِّر فيه أنَّ المسيح إله وإنسان ذو طبيعية واحدة وأقنوم واحد وأنَّ مريم أمُّ إلههم وحكم على « نسطور » بالطَّرد من الكنيسة[١] .

وبعد مجمع أفسس عقدت مجامع عديدة كلها تبحث في طبيعة المسيح عليه السلام منها :

٤ ـ مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م

في هذا المجمع عادوا للبحث في طبيعة المسيح وقرَّر المجتمعون : أنَّ المسيح له طبيعتان إلهية وبشريَّة بلا اختلاط ولا تحوُّل ولا انقسام ولا انفصال[٢]؟! وكان المناصرون لهذا القول هم الأساقفة الغربيين الَّذين لعنوا وطردوا من لا يقول بهذا القول .

ولم توافقهم الكنائس الشَّرقيَّة على هذا وقد أصرُّوا على قرارهم السابق في مجمع « أفسس » بأنَّ المسيح طبيعة واحدة إلهيَّة وبشرية ، وهذا من أهم الفوارق بين الكاثوليك القائلين بالطَّبيعتين ، والأقباط والأرمن والسُّريان القائلين بالطَّبيعة الواحدة[٣] .

= والنِّعمة . انظر كتاب النَّصرانيَّة من التَّوحيد إلى التَّثليث ص ١٨٤ .

(١) انظر : مجموعة الشَّرع الكنسيِّ ص ٢٨٨ ، تاريخ الكنيسة جون لوريمر (٣ / ٢١٩) ، النَّصرانيَّة من التَّوحيد إلى التثليث ص ١٨٥ .

(٢) انظر إلى الجمع بين المتضادات في عقيدتهم وهو كلام يعادون عليه ويوالون ، وهو هراء مفترى ليس لهم عليه أدنى دليل أو برهان عقليٌّ أو شرعيٌّ .

(٣) انظر : مجموعة الشَّرع الكنسيِّ ص ٣٦٤ ، وتاريخ الكنيسة جون لوريمر (٣ / ٢٢٦ ـ ٢٣٢) .

بعد هذا عقدت مجامع عديدة من أهمها :

٥ ـ المجمع السابع سنة ٧٥٤ ، ٧٨٧ م

المراد بالمجمع السابع مجمعان ، المجمع الأول انعقد سنة ٧٥٤م بدعوة من الإمبراطور قسطنطين الخامس وذلك للنظر في موضوع الصور والتماثيل وما يقدم لها من التقديس والعبادة . وخرج بقرار يلعن به كل من يصور المسيح أو أمه أو أباء الكنيسة باعتبار أنها وثنية(١).

ثم أمر الإمبراطور أن يمحى ويدمر كل ما في الكنائس من صور وتماثيل ، كما حمل على الرهبان فأغلق الأديرة وصادر أموالها ، كما أرغم الرهبان على أن يتزوجوا الراهبات(٢)

(١) مجموعة الشرع الكنسي ص ٧٩٥ .

(٢) يلاحظ أن الإمبراطور ليو الثالث والد قسطنطين الخامس هو الذي كان حمل لواء الدعوة إلى تحريم الصور والتماثيل ، كما حمل على الرهبنة وأصدر مرسومًا سنة ٧٢٦م واعتبر كل ذلك من الباطل الذي دخل على النصرانية من الوثنية .

ويذكر ول ديورانت : أن ليو الثالث تأثر بالتعاليم الإسلامية حيث كان ولد في منطقة قليقية ، فلما تولى الإمبراطورية حمل على التماثيل والرهبنة لمخالفتها التعاليم النصرانية ، وقال ديورانت ملخصًا كيفية دخول الصور والتماثيل في الديانة النصرانية : « كانت الكنيسة في أول أمرها تكره الصور والتماثيل وتعدها بقايا الوثنية ... ولكن انتصار المسيحية في عهد قسطنطين وما كان للبيئة والتقاليد والتماثيل اليونانية من أثر في القسطنطينية والشرق ، كل هذا قد خفف من حدَّة مقاومة هذه الأفكار الوثنية ، ولما أن تضاعف عدد القديسين المعبودين نشأت الحاجة إلى معرفتهم وتذكرهم ، فظهرت لهم ولمريم العذراء كثيرٌ من الصور ، ولم يعظم الناس الصور التي يزعمون أنها تمثل المسيح فحسب بل عظموا معها خشبة الصليب ، حتى لقد أصبح الصليب في نظر ذوي العقول الساذجة طلسمًا ذا قوة سحرية عجيبة ، وأطلق الشعب العنان لفطرته ، فحول الآثار والصور والتماثيل المقدسة إلى معبودات يسجد الناس لها ويقبلونها ، ويوقدون الشموع ويحرقون البخور أمامها ، ويتوجونها بالأزهار ويطلبون المعجزات بتأثيرها الخفي ، وفي البلاد التي تتبع مذهب الكنيسة =

وبعد وفاة الإمبراطور قسطنطين الخامس سنة ٧٧٥م تولى على الإمبراطورية زوجته « إيريني » التي كانت تؤيد الصور والتماثيل فدعت إلى مجمع عام سنة ٧٨٧م في نيقية حضره ٣٥٠ أسقفًا خرجوا بقرار : وجوب تعليق الصور والتماثيل للمسيح وأمه وقديسيهم وكذلك الملائكة ، ويقدم لهم صنوف التكريم من التقديس والسجود ويستشفع بهم إلى الله في الحاجات لما لهم من المكانة والدالة على الله ــ تعالى الله عن قولهم ــ كما لعن المجمع كل من لا يكرم تلك الصور والتماثيل(١).

= اليونانية بنوع خاص كانت تُرى الصور المقدسة في كل مكان ــ في الكنائس والأديرة والمنازل والحوانيت ، وحتى أثاث المنازل ، والحلي والملابس نفسها لم تخل منها .

وأخذت المدن التي تتهددها أخطار الوباء أو المجاعة أو الحرب تعتمد على قوة ما لديها من الآثار الدينية أو على ما فيها من الأولياء والقديسين بدل أن تعتمد على الجهود البشرية للنجاة من هذه الكوارث . وكم من مرة نادى آباء الكنيسة ، ونادت مجالسها بأن الصور ليست آلهة ، بل هي تذكير بها فحسب ، ولكن الشعب لم يكن يأبه بهذه التفرقة .

(١) ننقل هنا قرار المجمع السابع المتعلق بالصور والتماثيل لما فيه من المعاني التي تدل على عمق الانحدار الوثني الذي آل إليه أمر النصرانية ، فقد قرروا : « أنه كما يرفع الصليب الكريم المحي هكذا يجب أن تعلق الصور الموقرة المقدسة المصنوعة بالدهان أو من الفسيفساء أو من مواد أخرى في كنائس الله المقدسة ، وأن توضع على الأواني المكرمة ، والحلل الكهنوتية ، وأن ترفع وتعلق في المنازل وفي الطرق ؟ونعني بذلك صورة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، وصورة سيدتنا الكلية الطهارة والدة الإله وصور الملائكة المكرمين وصور كل القديسين وكل الأشخاص الأتقياء ، لأنه بتكرار مشاهدتهم من رسومهم يسهل على الشعب أن يتذكر الأصل وتثار فيه الرغبة للإقتداء بسيرتهم ، ويجب أن يقدم لهذه الصور الإكرام وسجود الاحترام دون العبادة المختصة بالطبيعة الإلهية دون سواها .

وحسب العادة التقوية القديمة يجوز أن يقدم البخور ، وتضاء الشموع أمام هذه الصور وأمام الصليب الكريم المحيي وكتاب الأناجيل وغير ذلك من الأشياء المقدسة لأن التكريم الذي يقدم للصورة إنما يقدم للأصل الذي تمثله ، فالذي يكرم الصورة إنما يكرم الأصل الممثل فيها » =

واستمر النصارى على هذا إلى أن جاء البروتستانت فحملوا على الصور والتماثيل وحرموها وانشقوا بذلك عن بقية النصارى من الكاثوليك والأرثوذكس .

٦ ـ المجمع الثَّامن سنة ٨٦٩ م

وكان سبب انعقاده الخلاف بين كنيسة القسطنطينيَّة وكنيسة روما في الرُّوح القدس هل انبثق من الأَب فقط وهو زعم كنيسة القسطنطينية أم من الأَب والابن معًا كما هو زعم كنيسة روما ؟

وقد قرر في هذا المجمع قول كنيسة روما ، بأنَّ المسيح انبثق من الأب والابن معًا .

ولم يوافق على ذلك بطريرك القسطنطينيَّة ومن كان معه وأصروا على قولهم وعقدوا لذلك مجمعًا سنة ٨٧٩ م قرروا فيه أن الروح القدس انبثق من الأَب وحده .

فانقسمت بسببه الكنيسة إلى قسمين :

١ـ الكنيسة الغربيَّة ويتزعَّمُها البابا في روما وهم الكاثوليك .

٢ـ الكنيسة الشرقيَّة ويتزعَّمها بطريرك القسطنطينية وهم الأَرثوذكس .

٧ ـ المجمع الثَّاني عشر الَّذي عقد سنة ١٢١٥ م

وقد تقرَّر فيه أنَّ العشاء الرَّبانيَّ يتحوَّل إِلَى جسد ودم المسيح ، وأنَّ الكنيسة البابوية الكاثوليكية تملك حقَّ الغفران وتمنحه لمن تشاء .

= مجموعة الشرع الكنسي ص ٨٠١ .

٨ ـ مجمع روما عام ١٧٦٩ م

والَّذي تقرَّر فيه عصمة البابا في روما[١] .

من خلال هذا الاستعراض السَّريع لبعض المجامع النَّصرانيَّة وقراراتها يتبيَّن لنا ما يلي :

أولًا : أنَّ النَّصارى لا يملكون أَدلَّةً صحيحة صريحة في أكثر دعاويهم ، لهذا اختلفوا تلك الاختلافات الخطيرة الَّتي تمسُّ جميع نواحي العقيدة لديهم .

ثانيًا : أنَّ ما يستند إِليه النَّصارى ويتحمَّسون له لا يعدو أن يكون فهما خاصًّا يسعى أصحابه لتثبيته عن طريق تلك المجامع ، ولا يخلو الأمر من الأهواء والأغراض الخاصَّة من حبِّ الرئاسة وفرض السَّيطرة .

ثالثًا : أنَّ المجامع لم تكن يومًا من الأيام هيئات شورية يتباحث القسس فيها الآراء ويتوصَّلون فيها إِلى الحقِّ بأدلَّته ، بل كانت في الأغلب تُعقَد لفرض رأي أو تصوّر عن طريق تلك المجامع وبقوة السُّلطان أو قوة الكنيسة .

رابعًا : أنَّ تلك المجامع كانت أداة بيد الأباطرة الرُّومان يسخِّرونها لرغباتهم في التَّوسُّع والسَّيطرة أو تحقيق أغراض سياسية .

خامسًا : أنَّ تلك المجامع كانت من أعظم أسباب الفرقة وتثبيتها في العالم النَّصرانيِّ ، بحيث أنَّهم لم يخرجوا في واحد منها متَّفقين ، بل كلما اجتمعوا في مجمع من تلك المجامع يزداد اختلافهم وبالتَّالي انقسامهم .

سادسًا : أن المجامع صاغت العقيدة وقررتها بعد خلاف طويل وهذا يدل

---

(١) انظر : كتاب « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء » ص ٢٥٤ . أضواء على المسيحية ص ١١٢ ـ ١١٦ .

على أن العقيدة النصرانية في الإله وفي المسيح ، وفي نقاط عديدة ليس لأدلتها من الوضوح مايكفي لجعلها مسلمات وقطعية الدلالة لكل نصراني نظر في الأناجيل وعلم أقوال المسيح ، وهذا أمر يجب التوقف عنده والتفكير في مهمة المسيح ماذا كانت ، فإنه إذا لم يكن وضح وجلى تلك القضايا وأبان عنها البيان الكامل الذي لايفتح مجالًا للاختلاف فيها وخاصة أنها من أصول الديانة وأهم العقائد ، فما هي مهمته إذًا ؟

هل جاء ليلقي كلامًا مبهمًا لايعرف معناه يحار الناس فيه قرونًا ، أم أنه تكلم بكلام واضح وجلي كما هي حقيقة مهمة الرسل إلا أن الناس حرفوا كلامه بعد ذلك وحملوه على غير محامله ونسبوا إليه مالم يقل ؟!

سابعًا : إن المجامع قررت قرارات ولعنت وحرمت من لم يقل بها ، وقررت أن سبيل النجاة هو اعتقاد تلك الأقوال ــ وهنا سؤال يطرح نفسه : ماهو حال حواري المسيح وأوائل النصارى الذين لم يكونوا يعتقدون تلك العقيدة ولم يتكلموا فيها بكلمة ، كالتثليث ، وطبيعة المسيح وانبثاق الروح القدس من الأب أو الأب والابن معًا إلى غير ذلك ؟

ثامنًا : أنَّ المجامع قد صاغت العقيدة النصرانية بكُلِّ تفاصيلها ، وذلك يدلُّ على أنَّ تلك العقيدة بتفاصيلها صنعة بشريَّة لم ينزلها اللَّه تعالى على المسيح عليه السَّلام .

تاسعًا : أنَّ المجامع النَّصرانيَّة هي المصدر الحقيقيُّ للدِّيانة النَّصرانيَّة المحرَّفة لأنَّ تلك الفهوم الَّتي كانت تُقَرَّرُ وتُصدَرُ وفقها القَرَاراتُ لم تكن تَعْتَمِدُ على نصوص قطعية واضحة ، بل أحيانًا كانت تعتمد على نصوص متشابهة وكلام

محتمل لأكثر من معنى ويكون من أقلّها احتمالًا المفهوم الَّذي تدَّعيه الكنيسة كما في دعوى ألوهيَّةِ المسيح عليه السَّلام .

وأحيانًا كانت لا تعتمد على أي نصوص موجودة لديهم وهو الأكثر ، بل يكون تركيبًا ذهنيًّا وهميًّا أو تصورًا خاطئًا بُنِيَ على تصوُّرٍ خاطئ ، كما في قراراتهم المتعلِّقة بألوهيَّة الرُّوح القدس ، وطبيعة المسيح ، وتقديس الصو والتماثيل ، وعصمة البابا ونحو ذلك .

ويصدق عليهم فيما يدَّعونه من عقيدة ، ويشرِّعونه للنَّاس أنَّهم جعلوا أنفسهم أربابًا من دون اللَّه يُحِلُّون ويحرِّمون فينطبق عليهم قول اللَّه تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [التوبة : ٣٠ ، ٣١] .